طلعنا عالحريّة

حرية ، كرامة، مواطنة

العدد 91
2021 / 2 / 15
مجلة شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

كيف عايشين؟

كيف عايشين؟

افتتاحية بقلم أسامة نصّار

بالورقة والقلم يحتاج السوري الموجود داخل سوريا إلى عشرة أضعاف دخله بالحد الأدنى ليؤمن الحاجات البسيطة الأساسية للمعيشة.

نعرف أن مسببات ضعف الاقتصاد والفقر وقلّة فرص العمل كثيرة، ونعرف أيضاً أن النظام هو المسؤول الأول عن المعيشة الضنك التي يعاني منها السوريون، وإن شاركه في هذا الجرم تجار دم ومستبدون آخرون بنسب مختلفة.

إذا أخذنا عينة من «التكتيكات» التي تتبعها أغلبية العائلات السورية لخوض معركة المعيشة، سنجدها تتشابه في كثير منها:

تستغني عن الترفيه والكماليات، بعد أن تعيد تعريف كل من الكماليات والأساسيات، فتتضخم القائمة الأولى على حساب الثانية؛ نتكلم عن «رفاهية» أشياء مثل الطبابة والوقاية أو متابعة التعليم أو الكهرباء والتدفئة والاتصالات والمواصلات..

تراقب تكاثر الجمعيات الخيرية ومنظمات الإغاثة، وبغض النظر عن تقييم أدائها، فهذه المؤسسات أصلاً تعترف بنفسها بعبثية المهمة التي تتصدى لها.

سيعمل أكثر من شخص في البيت الواحد لتأمين اللقمة؛ لن يمنع أن يتحول المرضى وأطفال البيت إلى عمالة (مستغَلّة غالباً) للمشاركة في المصروف.

يتم ترقيع الدخل بحوالات من المغتربين.

بعض المحظوظين يجدون من يقرضهم مبالغ للطوارئ؛ هي بالنسبة لمانح القرض «ديون معدومة»، سيحتسبها كصدقات مقنّعة.

الخوض في كل هذه التكتيكات وغيرها سيدخلك في تفاصيل ومشاكل ووجع رأس، ولن يجيب عن السؤال «كيف عايشين؟» وإنما يزيده غموضاً.

لطالما كان تدبير الأمور لغزاً محيراً عندما تأتي للسوريين، حتى قبل شنّ النظام السوري حربه على الشعب؛ أيام الدولار بـ 45 ليرة وربطة الخبز بـ 10 أرغفة ساخنة وكبيرة.. أيام «كنّا عايشين»!

لكن من الأفضل الاستمرار في البحث حول هذا السؤال «كيف عايشين؟» لأنه يبقى أقلّ سوءاً من سؤال يبطنه المستبدون وحلفاؤهم من المترفين: «ليش عايشين؟»!

طلعنا عالحرية

مجلة شهرية تعنى بالشأن السوري
ثقافية، اجتماعية، سياسية

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير أسامة نصّار

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise
freedomraise@gmail.com

نائب رئيس التحرير: ليلى الصفدي
محررون: كمال شيخو - حسن عارفة
محرر ثقافي: غسّان ناصر
الغلاف: سمير خليلي
كاريكاتير: سمير خليلي / هاني عبّاس
زملاء مختطفون في سوريا: رزان زيتونة - ناظم حمادي

الصحفي في إدلب هو النازح ذاته الذي يوثق معاناة الغير

بلال البيوش

لم أكن أتوقع يوماً أنني سأتحول من ناقل للخبر إلى أحد عناصره! إذ اعتدت خلال أكثر من خمس سنوات على نقل معاناة سكان المخيمات شمال غرب سوريا في صيفهم وشتائهم، لكن اليوم فُرض علي أن أعيش واقعهم وأعيش أحاسيس لم أكن أشعر بها وأنا خلف عدستي.

في منتصف سنة 2019 قررت الخروج من مدينتي كفرنبل بريف إدلب، بعد أن كثفت قوات النظام السوري قصفها على المدينة، وبعد احتلالها مدينة معرة النعمان، شعرت حينها للمرة الأولى بمرارة النزوح، وما يرافقها من تغيرات قد ترسم مساراً جديداً للحياة.

أقمت في إدلب بداية نزوحي فترة من الزمن، بسبب ظروف العمل، وبعد توقفي عن العمل قررت الانتقال إلى مخيمات باريشا التي تضم عائلتي، وكان معظم أهالي كفرنبل قد انتقلوا إلى هناك.

شكلت باريشا وطناً جديداً لنا، رغم اختلافها الكبير عن مدينتنا كفرنبل، فقد منحت وجوه أهالي كفرنبل طابعاً إضافياً للبلدة، لكن مرارة النزوح لا يمكن أن نتجاوزها بهذه السهولة.

صادفت إقامتي في باريشا مع قدوم الشتاء، والذي يعتبره جميع سكان المخيمات فصل المصاعب والآلام، حيث تتحول الطرقات الترابية إلى مستنقعات طينية يصعب تجاوزها، ناهيك عن برودة الطقس، والرياح الشديدة التي تعصف بالخيام وتمزقها.

لم يكن هذا الشتاء قاسياً كسابقه، لكن عدم اعتيادي على هذه الأجواء وسوء المكان الذي نقيم فيه، كانا كفيلين بجلب الكثير من المتاعب.

في نهاية كانون الثاني الماضي مرت ليلة لن أنساها ما حييت، ولا يمكن للكلمات أن تصف حجم الخوف والقلق الذي عشناه أثناء العاصفة المطرية، وكيف تلاعبت الرياح الشديدة بـ"شادر" المنزل (عبارة عن أربعة جدران وسقف من نسيج سميك) لدرجة شعرت بها بأن المنزل سيسقط فوقنا.

يومها علمت الفارق الحقيقي بين أن تكون مصوراً ومراسلاً ناقلاً للأحداث، وبين أن تكون بطل القصة وتعيشها من الألف إلى الياء.

لست وحدي!

لم تكن حظوظ سلطان الأطرش (ناشط إعلامي)، بأفضل من حظوظي، فقد اضطر لترك قريته "موقة" جنوبي إدلب بعد أن استهدفتها قوات النظام السوري بثمانين صاروخاً دفعة واحدة، خلّف ذلك القصف يومها أربعة شهداء وأجبر أهالي القرية على مغادرتها.

يقول سلطان لطلعنا عالحرية: "تلك اللحظات لم تكن هينة على أي شخص من أهالي القرية، فقد ترك في تلك اللحظة بيتاً وأرضاً وقرية ينتمي إليها، وفقد كل الذكريات وذهب".

لم يملك سلطان خطة واضحة المعالم للنزوح، إذ لم يكن يملك أي مكان يأوي إليه، وافترق عن أهله في أول محطات النزوح كلٌّ في مخيم بعد تعب وشقاء كبيرين، وذلك بسبب الصعوبات التي عايشها أثناء إخراج ما تيسر من أدواته المنزلية، ولأن المنطقة باتت مكشوفة بشكل واضح على قوات النظام وقد لا يتمكن من العودة إليها لاحقاً.

أتم سلطان عملية نقل الأدوات المنزلية، لكن أنفاسه بقيت متعلقة في قريته، فقد حاول على مدى شهر كامل دخول القرية التي عاش طفولته فيها لكنه فشل، فجيش النظام السوري بات قريباً والدخول للقرية نوع من الانتحار.

كانت رحلة النزوح قاسية على سلطان منذ بدايتها؛ فأحواله المادية سيئة جداً، وأسعار الإيجارات مرتفعة، كُتب عليه أن يعاينها بنفسه اليوم، دون أن يملك المال الكافي لاستئجار منزل، فباع هاتفه لدفع إيجار منزل في بلدة سلقين، لم تَطُل إقامته فيه، فقد وجد نفسه وحيداً غريباً في هذه المدينة.

قرر اللحاق بأهله إلى منطقة صلوة قرب أطمة، حيث أقاموا في قطعة أرض جبلية لا تصلح للإقامة بأي شكل من الأشكال، لكن النزوح يفرض عليك ما لم يكن يوماً ضمن حساباتك.

"أرى كل يوم في هذه المخيمات أطفالاً تُحرق أحلامها وتغوص في بحر الجهل أكثر، أرى الفقر الشديد يحيط بالناس، وكيف وصل الحال ببعضهم للعجز عن شراء كيس الخبز" يقول سلطان.

واقع المخيمات أسوأ مما يُقال عنه!

يقيم إبراهيم الدرويش (ناشط إعلامي) في أحد مخيمات دير حسان، بعد تركه لقريته "أرينبة" بريف إدلب الجنوبي. اعتاد تغطية الحالات الإنسانية التي يسمع بها، لكن ما شاهده خلال إقامته في هذه المخيم "كان أكبر من كل التغطيات" بحسب وصفه، مضيفاً: "الفقر سمة واحدة تجمع المقيمين، وجميع سكان المخيم ينتظرون الإغاثة الشهرية ليكملوا ما تبقى من حياتهم التي كتب عليهم أن يعيشوها بين الخيام".

تعرضت خيمة إبراهيم للغرق في هذا الشتاء، واضطر لتركها والانتقال للعيش عند أقربائه ريثما تنتهي العاصفة، لكنه يؤكد أن المعاناة التي عاشها لا تقارن بما عاشه غيره من المهجرين، فقد دخلت المياه إلى خيامهم أثناء نومهم ولم يعد لديهم من يلجؤون إليه.

يضطر ابراهيم للسير على أقدامه للخروج من المخيم، فطبيعة الأرض الطينية تمنع دخول أي آلية إلى المخيم، وهو ما يدفعه للقلق؛ فلو اضطر أن ينقل أحد أفراد عائلته إلى المشفى بحالة إسعافية، وقتها، عليه حمله لمسافة تتجاوز 400 متراً، إذ يستحيل دخول السيارات.

يقول إبراهيم: "كنت أعلم أن حياة المخيمات قاسية، لكن لم أتوقع يوماً أن تكون بهذه القسوة، آمالي وآمال عشرات الصحفيين تبقى معلقة بانتظار أي خبر يوحي بعودتنا القريبة إلى ديارنا التي تركناها".

في انتظار الخلاص.. على طوابير النجاة

تحقيق حول الأوضاع المعيشية في مناطق سيطرة النظام

ليلى الصفدي

بينما تحدد الأمم المتحدة ومنظمات الغذاء مصطلحات وتعريفات إضافية لخط الفقر، يعيش المواطن السوري هذا التعريف على جلده وعلى أمعاء أطفاله الخاوية مضاعفاً مرّات عدة، في أدق تفاصيل يومه من الصباح حتى المساء.. وربما في أحلامه / كوابيسه أيضاً.

ففي ظل الانخفاض اليومي لقيمة الليرة السورية تقل قيمة الرواتب بنفس الوتيرة، حيث يمسي الناس على حال ويصبحون على حال أكثر سوءاً. ولا يبدو أن النظام الذي دفع البلد إلى هذا الدمار يكترث لحالهم أو يضع الخطط لأية حلول ممكنة، بل ربما يكون العكس هو الصحيح، ففي تفاصيل كثيرة تتضح قصدية الإذلال والتلذذ بتعذيب البشر.

نلقي الضوء في هذا التحقيق المختصر على هذا الارتفاع المذهل في الأسعار، وعلى أهم الجوانب المعيشية والخدمية التي يعانيها الناس في مناطق سيطرة النظام.

إن مراجعة سريعة لقوائم أسعار المواد الأساسية التي قمنا بجمعها من أربعة مناطق ومصادر مختلفة (دمشق، ريف دمشق، السويداء، اللاذقية) وكلها تقع الآن تحت سيطرة النظام السوري، تضعنا أمام الحقائق التالية:

1 - إن سعر السلة الغذائية الضرورية لمعيشة عائلة من خمسة أفراد تقارب في المتوسط 540000 ليرة شهرياً. (الاستهلاك الضروري من الغذاء للفرد 108000 ليرة شهرياً، أي بتكلفة يومية متوسطة لكل فرد تقارب 3600 ليرة سورية).

2 - تشمل السلة المذكورة الحد الأدنى الضروري لاستهلاك الفرد من المواد الأساسية التالية التي يحتاجها الجسم: خبز، بيض، جبن، رز، خضار وفواكه، لحم، زيت، حلويات، شاي وقهوة.

3 - لا تشمل القائمة أية احتياجات ضرورية أخرى، (كهرباء، ماء، غاز، مواد تنظيف، مواصلات، بنزين، إيجار سكن، تعليم، طبابة، تدفئة، هاتف، انترنت وغيرها من الأساسيات).

4 - المتوسط المذكور أعلاه يتعامل مع الأسعار حتى تاريخ إعداد هذا التقرير في النصف الأول من شهر شباط 2021، فيما تستمر الأسعار بالارتفاع يومياً بموازاة ارتفاع سعر صرف الدولار الذي كان يقارب 3200 ليرة، وهو يرتفع بمعدل 80 – 90 ليرة يومياً).

5 - هناك فروقات كبيرة في أسعار بعض المواد بين منطقة وأخرى، وقد اعتمد التقرير متوسط السعر بين المناطق الأربعة.

6 - تتراوح رواتب القطاع العام ما بين 35 وحتى 80 ألف ليرة.

7 - رواتب القطاع الخاص ما بين 100 وحتى 250 ألف ليرة، والأجر الأخير قلة قليلة هم من يتقاضونه.

8 - هناك الكثيرون ممن يعيشون على اليومية ومصيرهم خاضع لتوقفات العمل المتكررة.

تفاوت مستويات الدخل

إنه من الصعوبة بمكان احتساب دخل الفرد في سوريا حالياً؛ نظراً للتفاوتات الكبرى بين مختلف القطاعات والطبقات، ونظراً للارتفاع اليومي في سعر صرف الدولار.

ففي حين قدّر موقع numbeo المتخصص بالإحصائيات متوسط الرواتب في سوريا بـ 56 ألف ليرة سورية شهرياً في أواخر عام 2019، فقد كان سعر الصرف آنذاك 600 ليرة للدولار، وهذا يعني أن قيمة الراتب الحقيقية كما حددها الموقع آنذاك تعادل 94.26 دولار. وإذا ما احتسبنا نفس الراتب بحسب سعر الصرف اليوم (3200) فإنه سيكون 17 دولار ونصف فقط. ولم تقابل هذا الارتفاع في أسعار الصرف إلا ارتفاعات ضئيلة جداً جداً في مستوى الرواتب.

وإذا ما افترضنا أن متوسط دخل العائلة السورية من عدة مصادر للدخل يقارب 80 ألف ليرة سورية فإننا بحسبة متفائلة سوف نجد أن هذا الدخل يكفي لإطعام العائلة أقل من خمسة أيام، وهذا من دون احتساب أية مصروفات أخرى غير الغذاء.

كيف يتدبر السوريون أمورهم

لا بد هنا من العودة إلى الحكاية القديمة التي يتناقلها السوريون حول الخبراء الأجانب الذين درسوا هذه القضية من كافة جوانبها ولم يتوصلوا إلى شيء إلا قولهم أن المواطن السوري "عايش بقدرة الله!"، الحكاية القديمة تبدو الآن مأساة مضاعفة ومرعبة.

يقول ناصر من مدينة دمشق: "الكثير من العائلات السورية تعيش على حوالات الأهل ممن هم في الخليج أو أوروبا وغيرها، ولكن تدخل الدولة في هذا الشأن وتحديد سعر صرف العملات الأجنبية جعل معظم الناس في الخارج يترددون في التحويل لأن أهاليهم سيستلمون المبلغ المحول عن طريق منافذ تابعة للدولة، والتي حددت سعر الصرف للدولار بـ 1200 ليرة، بينما هو في السوق الموازي أكثر من 3000، ما يعني خسارة أكثر من نصف المبلغ. فبقي التعامل بالتحويلات مقتصراً على ما هو اضطراري وعاجل."

ويضيف ناصر: "لا توجد مداخيل إضافية للكثير من العائلات السورية، ولعل المخرج الوحيد لمن يعمل في القطاع العام هو العمل في الفترة المسائية بمهنة ما في القطاع الخاص كسائق تكسي مثلاً، أو أن يقوم الشخص بعمل بسيط كنصب بسطة فول أو سندويش أو غيرها".

حتى الأطفال..

وفيما يبدو أنه من المستحيل أن تعتمد العائلة على معيل واحد أو حتى اثنين، فلا بد من أن ينخرط الأطفال أيضاً في سوق "العمل"، من بائعي العلكة والمحارم إلى بيع الأم والحاجة عبر التسوّل.

في هذا السياق تتحدث عبير من السويداء بحسرة عن الأطفال الذين يتركون مدارسهم لتأمين بعض الليرات الإضافية، "التقيت بطفل بعمر 10 سنوات تقريباً، طبعاً هذا الطفل ليس مسجّلاً بالمدرسة لأني رأيته بأوقات الدوام، كان عند مبنى التربية يبيع كمامات والجو بارد جداً، سألته: "خالتو بقديه الكمامة؟"، قال: "بـ 100 ليرة"، أعطيته مبلغاً وقلت له: "ليك أنا حاطة كمامة ما بدي كمامة وهذول إلك". لا أنسى

536700 ليرة سورية

متوسط تكلفة سلة غذائية شهرية لعائلة من خمسة أفراد

نظرته، وظليت فترة كلما أتذكرها تدمع عيوني".

هناك بالطبع حكايات كثيرة أكثر وجعاً وأكثر بشاعة، حكايات التشرد والتسوّل والضياع، حكايات العصابات والسرقة والجريمة، وحكايات الخطف بقصد طلب الفدية.. والتي لا بد أن تزدهر في مثل هذا الجحيم.

الاستغناء.. حتى الرمق الأخير

ويبقى "الاستغناء" هو سلاح السوريين الأمضى في مواجهة الغلاء، حيث تنكمش السلة الغذائية إلى الحدود الدنيا التي لا تسدّ الرمق، وليست نادرة تلك العائلات التي تعتمد على الخبز وأشياء بسيطة مكملة، حيث يبقى الخبز المدعوم هو الحصن الأخير في مواجهة الجوع. وتحافظ ربطة الخبز المدعوم التي تقلصت إلى سبعة أرغفة على سعر معقول حتى الآن (120 ليرة)، مقابل ربطة الخبز السياحي التي يصل سعرها إلى 1200 ليرة سورية بفارق عشرة أضعاف. وذلك من دون التطرق إلى جودة الرغيف المغمس بالذل في سبيل تحصيله.

وقد حدد النظام استهلاك الخبز وأشياء أخرى بكميات معينة يتم شرائها عبر "البطاقة الذكية" وأضحت ساعات الانتظار في طوابير الخبز الطويلة جزءاً أساسياً من يوميات السوريين.

الحياة على إيقاع الأزمات والطوابير

فوق ذلك كله تأتي أزمات الطاقة من كهرباء وغاز وبنزين ومواد التدفئة وغيرها لتتوج سياسات الفقر والإذلال والتنغيص المقصود لحياة الناس، يقال إن النظام لازال يبيع الكهرباء للأردن ولبنان ليحصل على مداخيل إضافية، بينما يقطعها عن شعبه في كل المناطق.

في هذا السياق توضح ياسمين من ريف دمشق أن الكهرباء مقطوعة أغلب الوقت في كثير من المناطق والمحافظات، وتعتبر الأوضاع في الشام وريفها أفضل نسبياً من مناطق أخرى، حيث تحضر الكهرباء بالتناوب ساعتين وتُقطع 4 ساعات.

وتعلق ياسمين على ذلك: "بدك تقسمي يومك ودراستك وحمامك وشغلك وتنظيف البيت والغسيل وكل شي ع هوا هدول الساعتين اللي بتجي فيهن الكهربا".

في السويداء أيضاً يقسم الوقت بين ساعتي كهرباء وأربع ساعات انقطاع، لكن في أوقات مختلفة عن دمشق. تقول سمر من شهبا: "أقضي يومي في انتظار الكهرباء، وعندما تأتي أهرب لمكنسة الكهرباء والغسالة وكل الأشياء الضرورية، ولا تكاد تنتهي جولتي بالأشغال المنزلية حتى تعود الكهرباء للانقطاع".

تفصل هيفاء من اللاذقية في هذا الموضوع أكثر: "الكهرباء عندما تأتي لا تحتمل الكثير من الضغط، يجب أن نختار ما بين تشغيل السخان أو الفرن والغسالة أو غيرهما، كثيراً ما تنقطع الكهرباء في منتصف دورة الغسيل ليكون مصيره العفونة والروائح الكريهة".

وتشرح هيفاء التي تعتبر نفسها من العائلات الميسورة والتي يصادف أنها وزوجها يجهزان شقتهما الجديدة، كيف أن مسألة انقطاع الكهرباء تلقي بظلالها على كل الدورة الاقتصادية في البلد "بيجي معلم طولو وعرضو وعندو بيت وعيله، بيشتغل ساعتين بس وباقي النهار قاعد ناطر الكهربا".

في هذا السياق يقول ناصر من دمشق: "بشكل عام حياة المواطن السوري صار إيقاعها يتناغم مع الواقع المعيشي البائس، فهو ينام ويصحو وفق متطلبات الحياة التي تفرضها حالات التقنين وندرة فرص تأمين احتياجات الحياة المعيشية اليومية. بعض الناس صارت مضطرة للذهاب إلى الفرن منذ ساعات الفجر الأولى لشراء الخبز، ما يجعل حياة هؤلاء جحيماً مبرمجاً على إيقاع الأزمات".

كورونا أرحم !

الطوابير في كل مكان، ولا مفر من الاكتظاظ يضيف ناصر بشيء من الهزل، وشر البلية ما يضحك: "بوسع الشعب السوري دخول موسوعة غينيس للأرقام القياسية كصاحب أطول طابور في العالم، سواء على الخبز أو على المازوت والبنزين. ويزداد الذل عند تخصيص أقفاص -لا تزال موجودة رغم نفي الحكومة- عند شبابيك الأفران. الدولة غير مكترثة لمثل هذه الطوابير لجهة الحرص من تفشي كورونا، والناس لا علاقة لها لا بالكمامات ولا بالتباعد، ولسان حالهم يقول: الموت بالكورونا أرحم من الموت برداً وجوعاً".

وعند سؤال ياسمين التي عانت مؤخراً من المرض الشديد عن وضعها الصحي وإن كانت فعلاً مصابة بالكورونا، وهل أجرت الفحص، قالت "فحص شو؟ الله يسامحك! تكلفة الفحص 50 دولار، والله إذا ما طلع معي كورونا بنجلط"!!

وفيما يبدو واضحاً أن الناس العاديين هم الأكثر تأثراً بسياسات النظام وتقنيناته، فإن الواضح أيضاً أنهم الأكثر تأثراً بالسياسات الدولية والحصار وقوانين قيصر، والتي لا يبدو أنها تنال من عنجهية النظام وصلفه واستبداده، ولا من إمكانيات بقائه الأبدي فوق صدور المساكين.

المادة	الكمية بالغرام ل 5 أفراد	السعر ل.س
خبز	2500	400
بيض	250	1000
جبن	125	700
اللحوم	375	6375
خضار	1250	1565
فواكه	1000	1730
حلويات	650	3900
أرز	350	700
زيوت	5000	920
شاي	1000	250
قهوة	1000	350
سلة غذائية يومية لعائلة مكونة من 5 أفراد		17890
معدل تكلفة السلة الغذائية شهرياً		**536700**

"الحواضر" تخنق السوريين بعد أن كانت وجبتهم المدللة!

140 ألف ليرة شهرياً "فقط" لوجبة "حواضر" بسيطة!

ياسمينة أحمد- دمشق

بصوت متقطع، ونظرة كئيبة خيّمت على كامل وجهها، تقول وفاء: "لا ينال أطفالي الثلاثة كفايتهم من الغذاء يومياً، فحتى وجبة الإفطار ذات المكونات البسيطة، أصبحت من الكماليات على موائدنا، ولم يعد بإمكاننا توفيرها دائماً لهم، رغم أهميتها، كالبيض والحليب والجبن، والتي تستمر أسعارها بالارتفاع بشكل جنوني، حارمة صغارنا من الحصول على ما يغذيهم ويساعدهم على النمو".

لطالما ترافقت وجبة الفطور أو كما يطلق عليها "الحواضر"، بالدفء في أحضان البيوت الدمشقية والسورية عموماً، وشكّلت رمزاً راسخاً في ذاكرة السوريين، كيف لا، وهي الحاضر الأكبر والضيف الدائم على الموائد، ولا ضير في تناولها أحياناً في غير موعدها الصباحي، فهي مناسبة لكل الأوقات، لتوفرها وانخفاض ثمنها مقارنة بالدخل.

تتابع وفاء: "يقولون العقل السليم في الجسم السليم، لكن إذا استمرت الحال على هذا المنوال، لن يكون هناك جسم سليم ولا عقل سليم، وإذا تمعنّا جدياً في الأمر، ستظهر لنا الكارثة بعد سنين، على شكل جيل هشّ، مدمّر جسدياً ونفسياً، ضعيف أمام الأمراض والمحن والمصاعب".

مكونات بسيطة أصبحت معقدة!

عادة ما تشمل الحواضر، البيض، اللبنة والجبنة، الزيت والزعتر، الزيتون بأنواعه، والشنكليش أو السوركة، والمكدوس، وتستبدل أو يضاف إليها أيام الجمعة الفلافل والفول والمسبحة والفتات، في طقوس حميمية تصبغ المدينة العتيقة بطابع مميز لم يتبدل عبر السنوات السابقة، إلا أنه بات اليوم من الصعوبة وأحياناً من المستحيل توفير هذه المكونات على بساطتها، نظراً لجنون أسعارها المتماشي مع موجة غلاء تكتسح كل شيء في طريقها، وأولها الإنسان السوري الذي أصبح يعيش "على التوكل"، ودون أدنى نية لدى حكومة بضبط الأمر، في مشهد يبدو وكأن هذه الحكومة تتآمر مع سبق إصرار على إفناء من بقي منهم في "حضن الوطن"، ولم يولّ وجهه صوب أصقاع العالم على اختلافها وحتى تلك غير المتوقعة، طلباً للأمان والكرامة، وهرباً من القتل والتشرد والجوع والظلم.

أسعار مرعبة!

يصل سعر البيضة الواحدة حالياً إلى 250 ليرة سورية، مع قابلية الزيادة، نظراً لتأثر كل الأسعار بالدولار الأمريكي وتراجع قيمة الليرة أمامه، ولنفرض أن شخصاً ما أراد تناول بيضة واحدة صباح كل يوم على مدى شهر، سيحتاج إلى 7500 ليرة، وهو مبلغ ليس بالقليل إذا ما قورن بالأجر الشهري الذي يتراوح بين 50- 65 ألفاً.

ماذا عن الأسرة؟ مثلاً لو أن أسرة مكونة من أربعة أشخاص تتناول البيض يومياً، وبالتالي فهي ستحتاج إلى حوالي 30 ألف ليرة (4 بيضات كل يوم)، وهو ما يشكل كارثة هنا، طبعاً دون أن نتطرق لبقية الأنواع، أو لغيرها من الاحتياجات الاعتيادية للأفراد من مصاريف ونقل وفواتير.. وتجدر الإشارة إلى أن قسماً كبيراً من السوريين في العاصمة مهجرون ونازحون، ويعيشون في بيوت مستأجرة تتراوح قيمة آجارها الشهري بين 75 -200 ألف، وقد تزيد عن ذلك في أحيان أخرى.

المصيبة في تنويع الأصناف!

في حال أرادت الأسرة ذات الأربعة أشخاص تناول عدة أنواع من "الحواضر"، ستتكبد عبءاً مادياً كبيراً، علماً أن الأسعار تتغير بين ساعة وأخرى، وليس بين يوم وآخر، كما وتختلف بين مناطق دمشق نفسها، وبين محافظة وأخرى، مرفق قائمة بأسعار الحواضر في دمشق، بدون تكلفة قطعة "المكدوس" الشعبي التي أصبحت من الرفاهيات.

إذا اشترت هذه الأسرة 200 غ من الجبنة البيضاء، اللبنة، الزيتون الأخضر، يومياً، ستصرف 3700 ليرة يومياً، ما يقدر شهرياً بـ 111000 ليرة! وفي حال أضيف إلى هذه الوجبة 4 بيضات يومياً ستكون تكلفة وجبة الحواضر الخفيفة شهرياً 141 ألف ليرة!

تقول ثناء: "أحتاج يومياً أنا وأولادي الثلاثة إلى إفطار بما يقارب 7 - 8 آلاف ليرة"، ما يعني حسب كلامها إنفاق 210 -240 ألفاً في الشهر، مع العلم أنها موظفة حكومية لا يتعدى راتبها 60 ألفاً.

أما أسامة، صاحب متجر صغير لبيع الخضار والفاكهة، فيؤكد أنه برغم عمله على مدار اليوم، فلا يستطيع تأمين مستلزمات إفطار متعدد الأنواع يومياً كما كان قبل سنوات، موضحاً: "في الوقت الذي تأكل فيه أسرتي صنفاً معيناً كالبيض، فذلك يعني أن لا أصناف أخرى كالجبنة أو اللبنة، وبحكم عملي أحاول إضافة القليل من الخضار لتساعد على تغذية أولادي، فالأسعار ملتهبة ولا قدرة لي على توفير كل متطلبات المعيشة، من مأكل وملبس، ووقود التدفئة وغيرها".

وإذا تمعنا قليلاً في أمر الأسر الصغيرة التي لا يتعدى أفرادها الثلاثة أو الأربعة ومدى إنفاقها على وجبة إفطار بسيطة، فما الحال الذي ستعانيه الأسر الأكبر حجماً؟ وكيف سيتدبر الناس شؤون حياتهم في واقع بات يعتصرهم حدّ الاختناق، ويسلبهم ما تبقى من كرامة على شكل لقمة مغمسة بالذل والندم.

المادة بـ1 كغ	السعر بالليرة السورية
الجبنة البيضاء	5500
جبنة الشلل	8500
جبنة حلوم	9500
اللبنة (بقرية)	4500
القريشة (بقري)	5000
اللبن (بقري)	1000
الزيتون الأخضر	3500
الزيتون الأسود	2500-3500
الزعتر	5000
زيت الزيتون	6000
الشنكليش (بقري)	8500

التدفئة البديلة في مخيمات الشمال السوري
مخاطر ومشاكل صحية لا تنتهي

هاديا منصور

اتقضي مريم (30 عاماً) نصف يومها مع ابنيها رائد وحسان، وهي تجمع أكياس النايلون والمواد البلاستيكية وكل ما هو قابل للاحتراق، لتستعين بها في التدفئة مساءً كحل بديل عن تأمين وسائل التدفئة المعروفة، والتي باتت رفاهية وخاصة بعد غلاء أسعارها الجنوني.

الأوضاع المعيشية الصعبة للكثيرين من أهالي إدلب والشمال السوري مقيمين ونازحين، منعتهم من الحصول على مواد التدفئة في فصل الشتاء بشكل دائم، وهو ما أجبرهم على البحث عن حلول بديلة بتكاليف منخفضة، غير آبهين بخطورتها على صحتهم.

مريم فقدت زوجها بالقصف على مدينتها سراقب قبل نزوحها أواخر عام 2019، تؤكد أنها لم تعد قادرة على تأمين متطلبات أبنائها وسط كل هذا الغلاء والفقر، لذا باتت القمامة والملابس البالية والأحذية القديمة من الوسائل المعتمدة للتدفئة عندها وعند كثير من النازحين في مخيمات شمال غرب سوريا، لسهولة الحصول عليها وانخفاض تكلفتها مقارنة مع وسائل التدفئة التقليدية كالحطب والوقود.

"حين نشعل ما نجمعه في المدفأة مساءً تنبعث منها روائح كريهة، ونشعر بضيق تنفس، لكننا مضطرين لتحمل الأمر، أفضل من تحمل البرد القارس، فلا خيار آخر لدينا وللضرورة أحكام" تقول مريم، مضيفة: "نعاني من النقص الكبير بمواد التدفئة ولا نحصل على أي دعم لمواجهة البرد من أي منظمة أو جمعية خيرية، فقط يقومون بتصوير أوضاعنا كل فترة ولا نتلقى منهم إلا الوعود".

أسعار المحروقات مرعبة!

وسائل تدفئة بديلة عديدة لجأ إليها المدنيون في إدلب بعد الارتفاع غير المسبوق لأسعار المحروقات، كالمازوت الذي وصل سعر البرميل منه إلى 150 دولاراً أمريكياً، وكذلك الحطب الذي ارتفع سعره بعد الإقبال على شرائه ليصل سعره إلى 120 دولاراً للطن الواحد.

الزيت المحروق والكاوشوك (قصاصات إطارات السيارات) كما يسميه أهالي المنطقة، أصبحتا من وسائل التدفئة لزهد أسعارها وكثرة وجودها في محلات تصليح السيارات ومغاسلها.

الأربعيني حامد الصوراني يتردد لمغاسل السيارات كل مدة لشراء الزيت المحروق الذي يستخدم في التدفئة، حول ذلك يقول: "عندما لا يجد الإنسان وسيلة لتأمين وسائل تدفئة مرتفعة الثمن، عليه أن يجد بديلاً وبسرعة قبل أن يمرض أبناؤه ويعانون البرد القارس".

يشتري الصوراني سعر الليتر الواحد من الزيت المحروق بأقل من دولار لكنه يكفيه لمدة طويلة، وعن كيفية استخدامه يوضح: "أضع القليل منه داخل أي مدفأة مع القليل من الحطب فيؤدي إلى اشتعال الحطب، ويمدّ في عمره داخل المدفأة أطول قدر ممكن".

الفحم الحجري هو الآخر وسيلة تدفئة للكثيرين رغم أضراره الصحية على جهاز التنفس، وعن أنواعه يشرح الصوراني الملم بكافة أنواع التدفئة البديلة: "هناك ثلاثة أنواع حسب جودته، الأبيض وهو أردأ الأنواع، يليه الأحمر ثم الأزرق الذي يعتبر أفضلها، وكل نوعية تختلف في سعرها عن الأخرى".

البيرين أيضاً ملجأ للكثيرين، وهو من المخلفات التي تنتج عن عملية عصر الزيتون لاستخراج الزيت، ويُباع على شكل قوالب جاهزة اسطوانية الشكل بعد تعرضها للضغط والتجفيف.

وعنه يقول الصوراني: "يمنح دفئاً أكبر مقارنة بالحطب وهو أخف وزناً منه، ويبلغ سعر الطن منه 110 دولار أمريكي".

مخاطر صحية!

تعتبر مواد التدفئة غير السليمة أو البديلة في معظمها كالنايلون والكاوشوك والأحذية القديمة والملابس البالية مواد خطرة عند اشتعالها، وغالباً ما تسبب أمراضاً عديدة، وأحياناً حالات اختناق ووفاة لدى بعض الأطفال أو الكبار، وهو ما يؤكده الطبيب علاء الأحمد.

يوضح الطبيب: "الغازات المنبعثة عن احتراق هذه المواد وأبرزها غاز ثاني أكسيد الكربون، واستخدامها في أماكن مغلقة وغير مهواة، يؤدي لنقص الأوكسجين وضيق التنفس، وهي السبب الأهم لالتهاب القصبات المزمن، إضافة إلى أنها عامل محسّس بشدة وتسبب أمراضاً مزمنة، وتسبب خطورة عالية تحديداً على مرضى الربو"، مضيفاً: "إنها مواد مسرطنة للجهاز التنفسي بامتياز، وهي تؤثر على مرضى القلب، حيث يكون القلب غير قادر على تأمين الأوكسجين لكافة الجسم بسبب ارتفاع التوتر الرئوي ووذمة الرئة، ويؤدي احتراق هذه المواد إلى زيادة ثاني أوكسيد الكربون بالدم، فيزداد الجهد على القلب لتأمين الأوكسجين والذي يؤدي غالباً إلى الوفاة".

للحوادث حضور قوي!

تكررت حوادث الحرائق والاختناق داخل المخيمات

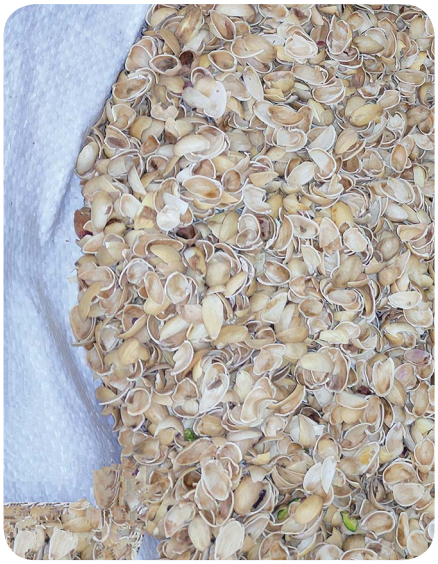

جراء استخدام مواد التدفئة البديلة، حيث وثق فريق "منسقو استجابة سوريا"، نشوب أكثر من 35 حريقاً في الشمال السوري خلال الـ 26 يوماً فقط في بداية السنة، تسببت بأضرار مادية.

وأضاف الفريق أن الحرائق والأضرار كانت 19 حريقاً ضمن المنازل، أسفرت عن إصابة 8 مدنيين بينهم 5 أطفال وامرأة، إضافة إلى وفاة طفلين اثنين، مشيراً إلى وقوع 16 حريقاً ضمن المخيمات، أسفرت عن تضرر 20 خيمة، ووفاة طفلين، وإصابة 5 مدنيين بينهم امرأتين وطفلين.

ودعا الفريق في بيانه كافة السكان في الشمال السوري، إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات الاحترازية لمنع حدوث الحرائق، والتي تعود بمعظمها إلى الاستخدام غير الآمن لوسائل التدفئة أو تسرب الغاز من مواقد الطهي.

اختراعات محلية بديلة!

أثناء عملية البحث عن وسائل تدفئة بديلة أكثر أمناً جاء ابتكار مدافئ قشر الفستق الحلبي، كوسيلة صحية ولا يصدر عنها أي روائح أو دخان مزعج، كما أنها أقل تكلفة من المازوت.

يبلغ سعر الطن الواحد من قشر الفستق حوالي 175 دولاراً ويكفي لكامل موسم الشتاء، وهو بمعظمه مستورد من تركيا، وهناك قشر الجوز والمشمش والبندق التي تصلح للاحتراق داخل المدفأة ذاتها، ويتراوح ثمنها بين 100 و130 دولاراً، غير أن تحمل أعباء شراء هذه المدفأة وكلفة تشغيلها ما تزال حكراً على الميسورين، كونَ عشرات الآلاف من النازحين المنتشرين في المخيمات العشوائية بالمنطقة غير قادرين على توفير أبسط احتياجاتهم، وما تزال التدفئة بالنسبة لهم من أبرز التحديات التي يواجهونها خلال الشتاء.

آثار الحرب تعرقل سير العملية التعليمية في الرقة

عبد الله الخلف - الرقة

عندما كان زين (9 سنوات) يلعب في باحة المدرسة، دفعه فضوله الطفولي لاستكشاف الطابق الثاني (المدمر)، وقفز من فوق الحائط المبني على مدخل السلم المؤدي للطابق العلوي، وأثناء لعبه بين الأنقاض كاد أن يسقط من الأعلى لولا تدخل المعلمين.

حدث هذا في مدرسة بسام زيوار الابتدائية الواقعة في حي الدرعية غربي مدينة الرقة قبل نحو شهرين، يقول مدير المدرسة عيسى المطلق إنه وبعد تلك الحادثة يقف دوماً قرب مدخل السلم، خشية أن يتكرر مثل هذا الحادث مجدداً. مضيفاً: "المدرسة تعرضت لغارة جوية شنتها طائرات التحالف الدولي عام 2017، وتم ترميم الطابق الأرضي من قبل لجنة التربية لاستقبال الطلاب أواخر عام 2018، ولكن اللجنة أجّلت ترميم الطابق الثاني إلى الصيف المقبل. ومن أجل حماية الأطفال بنينا حائطاً على مدخل الدرج، ولكن مع ذلك تبقى الخطورة موجودة، خاصةً أن هناك خرسانات شبه مدمرة تتدلى فوق المدرسة ونخاف أن تسقط وتحصل كارثة".

وخلّفت حرب الرقة التي شنتها قوات سوريا الديمقراطية عام 2017 مدعومةً آنذاك من طيران التحالف الدولي لانتزاع السيطرة على المدينة من تنظيم داعش، دماراً هائلاً طال نحو 90% من المدارس، كما أدت سنوات انقطاع التعليم الخمس إلى نشوء جيلٍ جديد من الأطفال الأميين. تركة الحرب الثقيلة وضعت لجنة التربية والتعليم التي أسسها مجلس الرقة المدني في تموز من عام 2017 أمام مهمة عسيرة لإعادة جيل تعوّد على رؤية المشاهد الدامية لمقاعد الدراسة من جديد. وزاد في صعوبة المهمة النقص الكبير في الأبنية المدرسية، حيث كانت هناك 512 مدرسة في الرقة وريفها عام 2011، أما اليوم بعد عشر سنوات تراجع عددها إلى 397 بحسب إحصائية للجنة التربية والتعليم.

ويشير هلال الجوديّة نائب رئيس لجنة التربية والتعليم إلى أنهم قاموا بترميم 201 مدرسة بشكل جزئي بتمويل من التحالف الدولي ومنظمات محلية ودولية، بالإضافة لـ 91 مدرسة تم ترميمها بشكل كامل.

ويقول الجوديّة: "توجد في الرقة اليوم 307 مدارس ابتدائية، و35 إعدادية، و3 ثانوية، بالإضافة لـ 52 مدرسة متعددة المراحل، ويتعلم في هذه المدارس 114000 طالب وطالبة، بكادر تدريسي يبلغ 4698 معلم ومعلمة". ويتابع: "بنسبة تقريبية استطعنا ترميم ما يقرب من 70% من الأبنية المدرسية المدمرة في المدينة وريفها، وحالياً نحن في العام الدراسي الثالث بعد رحيل تنظيم داعش أنجزنا الكثير ومحونا أمية الآلاف من الأطفال وأعمال الترميم ما تزال مستمرة لغاية اليوم".

وأثارت قضية المناهج جدلاً واسعاً في الرقة ودير الزور العام الماضي، حيث خرجت احتجاجات شعبية في ريف دير الزور الشرقي ضدّ تدريس المنهاج الخاص بالإدارة الذاتية، ليتم بعدها اعتماد منهاج اليونيسيف في مناطق الرقة والطبقة ودير الزور، أما منهاج الإدارة الذاتية فيتم تعليمه في محافظة الحسكة وناحية عين العرب/ كوباني ومنطقة الشهباء بريف حلب، أما في منبج وريفها فيدرّس منهاج النظام السوري.

وعن المنهاج المدرسي الحالي في الرقة يوضح الجوديّة: "المنهاج المتبع حالياً هو منهاج التعلّم الذاتي المقدم من منظمة اليونيسيف، المنظمة قدمت لنا 140 ألف نسخة هذا العام الدراسي، لم تصل بشكل كامل، وصلت على دفعات وما زلنا ننتظر الباقي، وبخصوص المنهاج الخاص بالإدارة الذاتية كان هناك اعتراض من قبل الأهالي عليه، وعقدنا اجتماعات مع عدد منهم في الصيف الماضي بهذا الخصوص، وتم اعتماد منهاج اليونيسيف بناءً على رغبتهم".

وبالإضافة للمدارس التابعة للإدارة الذاتية يوجد في الرقة 51 معهد تعليمي خاص يستهدف طلاب الشهادتين الإعدادية والثانوية، الذين يدرسون منهاج النظام السوري ويذهبون لتقديم الامتحانات في مناطق سيطرته، حيث يفضّل كثير من أهالي الرقة حصول أبنائهم على الشهادات الصادرة عن النظام، كون الشهادات التي تصدر عن الإدارة الذاتية غير معترف بها دولياً.

وتقول أم ليان التي لديها ابنة في الصف الثالث الثانوي وتدرس في إحدى المعاهد الخاصة بالرقة إن تكاليف تدريس ابنتها مرتفعة للغاية، حيث تدفع في الشهر الواحد 45 ألف ليرة سورية، وتضيف: "وهناك مصاريف أخرى غير رسوم المعهد، مثل أجرة السفر كل فترة لمناطق سيطرة النظام بريف الرقة الشرقي، للتسجيل ولتقديم الامتحانات، ونتكبد عناءً كبيراً على الحواجز العسكرية عندما نذهب لهناك، وأنا لا أحب الذهاب لمناطق سيطرة النظام، ولكني مجبرة على ذلك لكي تحصل ابنتي على الشهادة الثانوية وتكمل دراستها الجامعية".

وفي سياق متصل يسعى ناشطون في الرقة للحد من الأعباء التي يعاني منها السكان في تدريس أبنائهم، من خلال مبادرات تطوعية تعليمية، مثل مبادرة منصة Youth College – كلية الشباب، التي بدأت نشاطها قبل نحو ثلاثة أشهر.

ويقول حسن الشعيب أحد المتطوعين في المنصة إن "المبادرة عبارة عن منصة تعليم إلكترونية مجانية، تقدم خدماتها لطلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية وفق مناهج النظام السوري التي يدرسها معظم الطلاب بالرقة".

مضيفاً: "جائحة كورونا جعلتنا نفكر بطرق أكثر فعالية لتدريس الطلاب، الفكرة خطرت لنا بسبب ظروف الحظر والحجر الصحي، ورأينا أيضاً أن الكثير من الأهالي لا يستطيعون تحمل أعباء تدريس أبنائهم في المعاهد الخاصة، وحالياً نحن نستهدف 400 طالب وطالبة يدرسون الشهادتين الإعدادية والثانوية، يتابعون الدروس المصوّرة التي يلقيها 40 معلم ومعلمة متطوعين في المنصة، ويتم نشر هذه الدروس عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهناك تفاعل جيد من قبل الطلاب، وسنعمل لزيادة عدد الطلاب المستفيدين في العام الدراسي المقبل".

ويكشف إحصاء للجنة التربية والتعليم بأن نحو 10% من الأطفال في محافظة الرقة لم يلتحقوا بالمدارس، واتجهوا للعمل نتيجة الظروف المعيشية الصعبة التي تعيشها البلاد، بالإضافة لآخرين يعيشون في مخيمات النازحين في الأرياف بعيداً عن المدارس.

وحيدات في دوامة العنف المنزلي

سونيا العلي- ادلب

لوحة-للفنان-ديلاور-عمر

رغم الضرب والإهانة التي تعرضت لها من قبل زوجها، لم تستطع براءة الحصول على تأييد أهلها لها، كما أجبروها على العودة إلى منزله مجدداً بحجة أن "المرأة ليس لها غير منزل زوجها، وأن الخلافات العائلية يجب أن تبقى طي الكتمان، وأن الزمن كفيل بتغيير طباع الزوج وصفاته الذميمة".

براءة من مدينة إدلب ليست حالة فردية، بل تتعرض الكثيرات من النساء في سوريا لكافة أشكال العنف، اللفظي والجسدي، لتكتمل معاناتهن بالعادات والتقاليد التي تكرّس تقبل الزوجات والأمهات للكثير من السلوكيات العنيفة على أنها أمر عادي، والضغوط المجتمعية التي تصفها بـ"العار" في حال تجرأت واعترضت أو طالبت بحقوقها، كما زادت جائحة كورونا من معاناة النساء نتيجة البقاء في المنزل طوال الوقت، والضائقة المادية التي وقعت بها معظم الأسر.

وقد تتعرض المرأة للعنف من أحد الأقارب ضمن الأسرة الواحدة، كالأخ أو الأب!

الشابة علا (17عاماً) تتعرض للعنف من قبل أخيها الذي يكبرها بسنة واحدة، "بعد وفاة والدي، نصّب أخي نفسه وصياً علي وعلى إخوتي الصغار، حيث يضربنا باستمرار، كما حرمني من ارتياد المدرسة وتحقيق أحلامي، بحجة أنني أصبحت كبيرة، ومحط أنظار الشبان، فضلاً عن ضرورة مساعدة أمي في أعمال المنزل" توضح علا.

العنف يقتل النساء

يهدد العنف حياة النساء، فقد يوصل إلى الانتحار للتخلص من الظلم والقهر، وكلنا سمعنا عن المعلمة ميساء (33 عاماً) في ريف إدلب التي عمدت للانتحار في 2 أيلول/سبتمبر الماضي، عن طريق تناول حبوب سامة.

عملت ميساء معلمة في إحدى مدارس بلدة أطمة بريف إدلب الشمالي، تغلب اليأس عليها، وقررت أن تضع حداً لحياتها، حيث فقدت قدرتها على الصبر والتحمل، بعد أن قام زوجها بضربها وطردها من المنزل، كما أخذ منها أطفالها الثلاثة عنوة، وحرمها من رؤيتهم، واستخدمهم كوسيلة لاستغلالها والضغط عليها.

لم تجد ميساء الدعم والمساندة من أهلها لسنوات كثيرة، بحكم أن زوجها قريب لها، وخشية نشوب الخلافات العائلية، فكانت ضحية ظلم الزوج وتسلط العادات والتقاليد من المجتمع المحيط.

تمرد على الصمت

قلة من النساء قررن التمرد والمواجهة، رغم اللوم والاستغراب من المجتمع المحيط.

رانية (29 عاماً) من مدينة سرمدا بريف إدلب الشمالي، قررت أن تضع حداً لتعنيف زوجها لها، فتركت المنزل، ورفعت دعوى قضائية للحصول على حضانة طفليها، وعن ذلك تقول: "زوجي عصبي المزاج، يوبخني لأتفه الأسباب، وأحياناً دون أي سبب، ولست مضطرة للتحمل طوال حياتي".

تؤكد رانية أنها تركت المنزل عدة مرات، وفي كل مرة كانت تعود بعد أن يقوم أحد الأقارب بالإصلاح بين الطرفين، "رغم أنه أسلوب لا يضمن الحقوق ولا يحل المشكلة" بحسب تعبيرها، وأخيراً قررت الانفصال عن زوجها رغم تحذير أهلها من عواقب الطلاق على المرأة.

تعلق رانية: "لم أعد أكترث لكلام الناس، وتسلط المجتمع، الذي يتجاهل شعورها بالقهر واليأس، حين تتعرض للظلم والجور من أقرب الناس إليها، وتحت أنظار أطفالها".

هل من حلول؟

الحقوقية والناشطة ومديرة تجمع المرأة السورية هدى سرجاوي تقول: "للعنف آثار عميقة على المرأة، وقد تمتد لفترات طويلة، وتؤثر على الأسرة بكاملها".

وتضيف: "الحلول تبدأ بسن قوانين تحمي المرأة، وتعاقب كل انتهاك أو عنف يمارس ضدها، والعناية بالنساء اللواتي تعرضن للعنف سواء الجسدي أو النفسي، ومعالجة آثاره، وتمكينهن اقتصادياً، من خلال تخصيص مشاريع تنموية لتهيئة فرص عمل للنساء، لتتمكن كل امرأة من الاعتماد على نفسها، والعمل من خلال التعليم والتوعية على تغيير المفاهيم والسلوكيات في المجتمع التي تساعد على وجود العنف ضد المرأة".

تشير سرجاوي إلى أن المرأة في الحرب تتعرض للعنف بدرجة أكبر منها وقت السلم، موضحة: "بسبب الانفلات الأمني، والقصف والنزوح، وارتفاع معدلات الفقر".

وتضيف: " تجمع المرأة السورية يقدم التوعية المجتمعية حول العنف، ويشارك في حملات مناصرة للمرأة، إلى جانب تقديم استشارات قانونية للنساء".

آثار نفسية

يعتقد البعض أن العنف الأسري مقبولا ومبررا، ويندرج تحت مفهوم "المشاكل الأسرية".

المرشدة النفسية رانية الدياب (40 عاماً): "العنف لا يمارس دائماً كعنف جسدي بل يتخذ عدة أشكال منها اللفظي، -وهو الأكثر شيوعاً-، ثم العنف الاقتصادي القائم على الحرمان من الميراث والعمل، وقد تُحرَم الفتاة من التعليم وحق التمتع بالطفولة بسبب إجبارها على الزواج المبكر".

وتتابع: "للعنف الأسري نتائج سيئة على الفرد والمجتمع، حيث تقع المرأة المعنَّفة فريسة الضغوطات النفسية التي قد تتطور إلى حالات مرضية أو سلوكيات عدائية، كما يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية وانعدام الثقة وتلاشي الإحساس بالأمان"، مشيرة إلى أن المرأة المعنفة تمر بمراحل متتابعة من الصدمة، والإنكار، والارتباك، والخوف، وفي بعض الحالات حين يكون العنف بشكلٍ مستمر ومتكرّر تكون له تبعات أخرى أشدّ وطأةً وتأثيراً، منها ضعف الشخصية، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات بالإضافة إلى زيادة نسبة الاكتئاب.

وبحسب المرشدة: "الإيذاءات النفسية يبقى أثرها مدى الحياة إذا لم تتخلص منها الضحية من خلال التدخل الطبي، وفي بعض الأحيان يقود الأمر البعض إلى الانتحار".

وتؤكد الدياب على ضرورة توعية المرأة بحقوقها، وتنشئة الأطفال في جوّ خال من العنف، "مع مطالبة المنظمات الإنسانية أن تصب اهتمامها بمجال حماية المرأة من العنف القائم على النوع الاجتماعي، من خلال جلسات توعية في المخيمات والتجمعات السكنية، وتستهدف النساء، سواء من أهل المنطقة الأصليات أو المهجرات، مع تأمين دور لرعاية المعنفات منزلياً، وتعميم أرقام للخطوط الساخنة لتلقي نداءات الاستغاثة من المرأة، ومعالجتها نفسياً وجسدياً".

لايزال العنف بمثابة سيف مسلّط على رقاب الكثيرات من النساء السوريات بسبب عوامل نفسية وموروثات اجتماعية، إضافة إلى الضغوط المعيشية المرتبطة بالحرب والتبدلات الثقافية والاجتماعية، ولعل الأخطر هو العنف المنزلي في المكان الذي يفترض أن يكون الأكثر أماناً، ويؤمن الراحة والحماية للجميع.

المجتمع المدني السوري أداة بيد الأطراف أم منصة للمدنيين؟

السياسة في سوريا تتسلل إلى غرفة المجتمع المدني في جنيف!

أحمد المحمود

سوريا جنة العمل المدني والسلم الأهلي إذا ما نظرنا إلى أعداد منظمات المجتمع المدني السوري، لكن تأثير هذا العدد الكبير على مجرى الأحداث يبقى محل جدال.

بحسب دراسة لمنظمة (مواطنون لأجل سوريا)، فإن أكثر من ألف منظمة سورية أنشئت منذ عام 2011، حتى 2017 فقط! ما يطرح تساؤلات حول جدوى وتأثير عمل هذه المنظمات على الأوضاع في سوريا، وخاصة بعد تشكيل لجنة المجتمع المدني في اللجنة الدستورية من قبل الأطراف السياسية. ما ينفي صفة الحياد عنهم!

"لم تعرف سوريا قبل الثورة السورية عام 2011 أي أعمال للمجتمع المدني، واقتصر دوره على نقابات وجمعيات تعمل بظل النظام السوري وتتبع له بشكل أو بآخر". وهذا مبرر كاف بحسب سعاد (اسم مستعار) وهي مديرة منظمة في دمشق، لقصر دور المجتمع المدني، لأن "السوريين يمارسون العمل المدني والعمل السياسي لأول مرة في تاريخهم الحديث".

"القطاع الثالث" مسلوب من حياديته

على الرغم من أن الأمم المتحدة عرفت المجتمع المدني على أنه "القطاع الثالث من قطاعات المجتمع"، إلا أن قطاع المجتمع المدني السوري كان يتبع للأطراف بسوريا، ومنقسم على نفسه أيضاً، فمنظمات المجتمع المدني العاملة بمناطق سيطرة النظام تترأسها "الأمانة السورية" التابعة لأسماء الأسد، وعلى الطرف الآخر كانت بعض منظمات المجتمع المدني العاملة في مناطق المعارضة تحمل وجهة نظر المعارضة وبعضها مستقل.

تقلل سعاد من القلق بشأن استقلالية المجتمع المدني في اللجنة الدستورية، موضحة:" من الطبيعي أن يكون هناك انقسام لأننا كسوريين نمارس عملاً مدنياً لأول مرة بحياتنا، ونفس الشيء بالعملية السياسية، ومن المؤكد أن العمل المدني أو السياسي لن يكون مرضياً للجميع، لأنه يوجد عملية سياسية أكبر من كل الأطراف، لكن رغم ذلك فوجود حصة للمجتمع المدني بالعملية السياسية هو بحد ذاته إنجاز حتى لو كان وجودها صورياً".

كان المبعوث الأممي إلى سوريا السابق ستيفان دي ميستورا، قد شكل غرفة المجتمع المدني في جنيف، وهدفها إشراكه بالعملية السياسية بين المعارضة والنظام، لكن غرفة المجتمع المدني تحولت لمنصة أخرى للأطراف السورية، حيث انقسمت القائمة إلى 27 اسماً اختيرت من قبل النظام السوري، و20 اسماً وافقت عليها المعارضة، مع وجود ثلاثة أسماء مفروضة من الأمم المتحدة، أما في القائمة المصغرة فاختار النظام ثمانية أسماء، ووافقت المعارضة على خمسة، وفرضت الأمم المتحدة اسمين.

الدكتورة رغداء زيدان من لجنة المجتمع المدني في جنيف، تقول:" تشكيلة اللجنة الدستورية فيها كثير من الشوائب المعروفة، وكان على الأمم المتحدة مسؤولية اختيار هؤلاء ليكونوا صوت المجتمع السوري من جهة، وأيضاً صلة وصل بين الوفدين الآخرين من جهة أخرى، لكن ما حدث أن اختيار الأعضاء تدخلت فيه الدول، فتم رفض أسماء من قبل النظام، الذي أصر على طرح أسماء أخرى تمثله، كان منهم من طالب منذ بدء أعمال اللجنة بحل هذا الوفد وتوزيعه بين الوفدين بحجة أنه لا يوجد مجتمع مدني في سوريا".

وتؤكد عضو اللجنة الدستورية، أن وفد المجتمع المدني رغم احتضانه أتباعاً للنظام تتسق مصالحهم مع مصالحه، لكن أيضاً يضم خبرات جيدة حتى بين القادمين من دمشق، مضيفة: " فيه تمثيل مقبول للمرأة كذلك، ولكن وجود أفراد تابعين للنظام ينفذون إرادته أدى لحصول هذا الانقسام، فهم ما زالوا يرفضون العمل باسم المجتمع المدني، وصرح بعضهم بشكل واضح بمرجعيته للنظام منذ اليوم الأول من اجتماعات اللجنة الدستورية".

فوضى وغياب للتنظيم

"إن العمل المدني في سوريا لم يأخذ دوره كاملاً، بمعنى أنه اليوم لا يوجد لدينا انتخابات ديمقراطية كي نأخذ دور مراقبة الانتخابات، والتي هي أحد أدوار المجتمع المدني، لا يوجد أحزاب سياسية لنأخذ دور المراقب، ولا شفافية بتغيير القوانين لنعمل على تغييرها"، تقول سعاد.

رغم هذا السياق المعقد في مناطق سيطرة النظام، تؤكد سعاد:" استطعنا تحقيق العديد من الأشياء من بينها تغيير قانون "جرائم الشرف" في شهر آذار عام 2020، فهذا لم يكن ليحدث لولا حراك المجتمع المدني، وحتى لو كان المجتمع المدني تنقصه الحوكمة وآليات العمل والتنظيم، لكن رغم ذلك استطاع تغيير العديد من الأفكار ودور الأفراد. لذلك الحديث عن عدم وجود تأثير للمجتمع المدني هو إجحاف".

وفي السياق، تقول الدكتورة رغداء زيدان: "إن المجتمع المدني السوري انخرط انخراطاً كبيراً في الحراك، عن طريق الفعل الثوري السلمي نفسه، كالوقفات والمظاهرات والاعتصامات، بالإضافة للعمل الإغاثي والإنساني والطبي" مضيفة: "لكن رغم كل هذا كان هناك عدم تنظيم للجهود، وعدم تكامل أيضاً، وعدم استثمار حقيقي، وربما فوضى أحياناً، وهو ما يعيدنا لحقيقة نقص الخبرة في عمل المجتمع المدني السوري نتيجة تغييبه على يد نظام الأسد طوال العقود الماضية".

جدوى كبيرة رغم صغر الخطوات!

بعيداً عن أعمال اللجنة الدستورية والعملية السياسية، فإن كثيرين يرون أن منظمات المجتمع المدني لم تقم بأدوارها المجتمعية، واقتصر معظم أعمالها على تقديم الخدمات -رغم ضرورتها- لكن تم تقييدها بدور البلديات، فعلى سبيل المثال في مدينة الرقة التي خرجت من تحت سيطرة تنظيم داعش أواخر عام 2017، أخذت أغلب المنظمات عمل البلديات من تنظيف وتأهيل طرقات دون تغطية احتياجات المجتمع الخارج من سيطرة أعنف تنظيم إرهابي شهده العالم مؤخراً.

في هذا الصدد ترى سعاد أنه لا يمكن القفز فوق احتياجات المجتمع الخدمية، متسائلة: "كيف يمكنك الحديث مع شاب عن الدستور وإذا قرأه أو لا، وهو ملاحق لخدمة الاحتياط بجيش النظام السوري، أو كيف يمكنك الحديث مع امرأة عن حقوقها وهي لا تستطيع تأمين حليب لأطفالها؟".

سعاد اعتقلت أكثر من مرة من قبل النظام السوري بسبب موقفها تجاهه. تؤكد أن هناك جدوى من العمل المدني رغم بطء خطواته، وتضيف: "صحيح أننا لا نستطيع تطوير مستويات أعلى من العمل المدني بسبب العقبات الأمنية التي يفرضها النظام السوري، لكن رغم ذلك يجب أن نواصل عملنا".

من جانبها ترى عضو اللجنة الدستورية رغداء زيدان، إن جدوى وجود المجتمع المدني في اللجنة الدستورية مهم جداً ويمكن استثماره، وبحسب رأيها: "سيسلط الضوء على ضرورة العمل المدني وتأثيره في صناعة القرار، وهو أمر لافت، خاصة في بلد كسورية غيّب فيه الاستبداد العمل المدني منذ خمسة عقود، هذا برأيي سيؤسس لسقف من المشاركة المجتمعية في رسم مستقبل سوريا".

النسيج الاجتماعي في ريف حلب
هل اندمج السوريون مع السوريين؟!

حسين الخطيب - ريف حلب

خلفت حرب نظام الأسد على شعبه خلال عقد من الزمن خللاً في النسيج الاجتماعي السوري، الذي كان يعاني سابقاً من تنافرات اجتماعية، أي ما قبل الثورة السورية بفعل نظام الأسد الذي كان يسعى إلى خلق شرخ وتفرقة بين السوريين، وبالتدريج بدأ السوريون ينفرون من ذاتهم.

ثم جاءت موجات النزوح والتهجير التي استهدفت مناطق سيطرة المعارضة السورية، من مختلف المحافظات، والتي حطت رحال غالبيتها في ريف حلب، وذلك مع انشغال قسم من السوريين في المناطقية التي يتغنون بها، والتي شكلت عائقاً كبيراً في رؤية البعض لبعضهم الآخر كجزء من المجتمع السوري لا يمكن التخلي عنه.

كل ذلك إلى جانب الأوضاع المعيشية والاقتصادية المتردية، وأزمات البطالة والفقر وغيرها؛ بدءاً من التفكك الاجتماعي الذي لا زال يرافق السوريين في مختلف مدن وبلدات ريف حلب، وصولاً إلى عدم تقبل الآخر، الذي ساهم في إيجاد عثرات عديدة، وقفت عائقاً أمام تشكل مجتمع متكامل من أناس سوريين من مناطق مختلفة يتميزون بعادات وتقاليد متنوعة. لكن لا بد من لمس بعض التغيرات التي كان الزمن كفيلاً بتوفيرها.

وجد المهجرون والنازحون من المحافظات في بداية الأمر صعوبة في التأقلم مع الحياة الريفية الموجودة في ريف حلب، والتي تحكمها عادات وتقاليد معينة، تختلف عن تقاليدهم الاجتماعية، لكن "ليس بالإمكان أحسن مما كان" كما يقال، ومع مضي الأيام تغيرت الأوضاع، فهم اليوم يشاركون سكان ريف حلب أفراحهم وأتراحهم.

تحدثت مجلة "طلعنا ع الحرية" إلى المحامي وعضو نقابة المحامين الأحرار، يوسف حسين والذي قال: "المجتمع السوري متعايش ومتقارب الثقافة والتقاليد والعادات الاجتماعية، ولا بدّ من العمل على التعاون الاجتماعي، الذي يساهم في عملية اندماجهم، لا سيما أننا نتشارك آلامنا وأحزاننا وأفراحنا معاً".

وأضاف: "مما زاد من تعاون السوريين واندماجهم مع المجتمع هو الزواج المتبادل، الذي قرب المسافات بين الأسر السورية، التي تمتاز بخلفيات بيئية متنوعة، لكن في نهاية المطاف نجحوا في تحقيق بعض المكاسب للحفاظ على نسيج مجتمعهم".

وعن تجربته الشخصية يقول المحامي يوسف، المهجر من مدينة السفيرة إلى ريف حلب إن ابنته "تزوجت شاباً من معضمية الشام، ولم أشعر يوماً بالفارق بين مدينة وأخرى" ويتابع: "لكن لا بد من مشاكل تظهر بين مجتمع الضيوف ومجتمعات المضيفين وتمنع استقرارهم، ولكن هكذا أمور تحكمها تقاليد وعادات بمجملها سورية".

والتحق المهجرون والنازحون بسوق العمل من خلال رحلات تنقلهم إلى المناطق والمدن التي توفر فرص عمل لقاطنيها، لا سيما العمال من القطاع الخاص والقطاع العام أيضاً وأصحاب الحرف المهنية والمحال التجارية المتنوعة، فكثيراً ما تحمل المحال التجارية أسماء المدن والبلدات التي هُجِّر منها أصحابها.

التقت مجلة "طلعنا ع الحرية" السيد محمد بهاء الدين القاسم، من معرة النعمان بريف إدلب الجنوبي ويقيم في مدينة مارع بريف حلب الشمالي منذ أكثر من عام، ويعمل في تجارة الأدوات المنزلية، يقول إنه واجه "صعوبة بالغة في التأقلم مع المجتمع المحلي بريف حلب، لاسيما في تسويق البضائع، لكن مع الزمن استطعت الانخراط في مختلف جوانب التسويق وتعلمت ما يرغب به الناس المحليون".

ويضيف: "الريف الحلبي عاداته وتقاليده لا تختلف كثيراً عن عاداتنا، مما سهل عملية التأقلم مع طبيعة حياتهم وبيئة مجتمعهم المحافظ نسبياً، لكن بحكم الظروف يجب علينا التزام حدودنا حتى كسب ثقة السكان المحليين، وهذا ما يتيحه الوقت".

والتقت مجلة "طلعنا ع الحرية" أبو محمد، يملك متجراً لصناعة وبيع الحلويات في مدينة مارع بريف حلب الشمالي أسماه "شعبيات أريحا"، يقول أبو محمد: "في البداية لم أستطع افتتاح متجري، لكن بعد مرور وقت من النزوح، وعدم قدرتنا على العودة، افتتحت المتجر الذي اكتسب شهرةً محليةً واسعة، واستطاع أن يؤمن فرصة عمل لي ولعائلات أخرى من مدينة أريحا". ويضيف: "إن الحياة هنا في ريف حلب لا تختلف كثيراً؛ فنحن نعيش في مدينتنا لكن هناك عدة معوقات معيشية أبرزها الإيجارات وغيرها التي تزيد من مآسينا".

ويتيح الوقت أيضاً المزيد من التعافي للنازحين والمهجرين، وهذا الأمر ينطبق على الكثيرين؛ لأنهم يبدؤون حياتهم من الصفر، من البحث عن منزل وعمل وعيش كريم.. أي أن النازحين يتنقلون من منطقة لأخرى بحثاً عن عمل، ومن منزل لآخر بحثاً عن إيجار أقل.

وتحدثت مجلة "طلعنا عالحرية" إلى الصحفي رامي السيد وهو من دمشق ويقيم في مدينة عفرين في ريف حلب، والذي قال: "المدن كانت أكثر سهولة لإمكانية الاندماج النسبي، لأنها توفر بيئة يحتاج الناس فيها لبعضهم البعض، أما المخيمات والقرى الأخرى فكانت أكثر صعوبة، حيث يسعى كل فريق من السوريين من منطقة واحدة إلى الالتفاف حول بعضهم".

وأكد أن "المجتمعات السورية للأسف لم تتقبل بعضها، وهناك اختلاف وتفرقة بين السوريين في المدن أيضاً، ولا يوجد اندماج وتماهي بين المجتمعات، لأن كل فئة تتقوقع حول نفسها أي مع أبناء منطقتها فقط".

وأضاف: "نظرة السكان المحليين للمهجرين وتعاملهم معهم تعتبرهم "ضيوف" فقط، ولا يمكن لهذا الضيف التملك والعمل على حساب السكان المحليين، أي أنه يجب أن يتقيد بحدود معينة، تفرضها الظروف الاجتماعية المحيطة به".

وعن تجربته يرى السيد أن الحرب التي مرت على السوريين خلقت تعاطفاً وتعاضداً، "لكنني كشخص لم أجد أنه هناك اندماج حقيقي، لأن هذا التعاطف كان يدور بين أبناء المنطقة الواحدة فقط".

ولا بد من الإشارة لخصوصية المناطق التي كانت أغلبية أهلها الأصليين هم من السوريين الكرد مثل عفرين وأريافها، وحيث تختلف النظرة للمهجرين إليها من العرب، بين من يراهم استغلوا ظروفاً معينة تدعمها سلطة الواقع، للمساهمة في تمييع هوية المنطقة، إلى من ينظر لهم كضحايا لا حيلة لهم أمام ظروف فُرضت على الجميع.

لقد حققت المجتمعات الموجودة في ريف حلب لنفسها تطوراً كبيراً في نقل وتبادل الخبرات العلمية والعملية فيما بينها، لاسيما أصحاب المهن والحرف، الذين نقلوا خبراتهم واستفادوا منها جميعاً، لكن بمجملها لم تخرج من منظور الأفضلية لأصحاب المنطقة الأصليين والمجتمع المحلي، الذين يبدون تعاضداً والتفافاً حول الذات، وينظرون إلى المهجرين كضيوف لا أكثر.

في شمال شرق سوريا.. أطفال المخيمات العاملون
عمالة واستغلال وأحلام ضائعة

هديل سالم - شمال شرق سوريا

تدقّ الساعة السابعة صباحاً، فيبدأ "حازم" في مخيم "واشوكاني" رحلته إلى عمله، يقف عند قارعة الطريق العابر من بلدة التوينة المجاورة إلى محافظة الحسكة، وبالوضعية ذاتها يقوم ببيع أنواع من علب السجائر المحلية والأجنبية الصنع لمدة 8 ساعات يومياً، لم ينس خلالها أن من حقوقه التعليم واللعب، لكن ضيق الحال ورحلة نزوحه وقفا عائقاً أمام التمتع بها ومتابعة تعليمه.

حازم (15 سنة) واحدٌ من بين آلاف الأطفال القاطنين في المخيمات، المحرومين من أبسط حقوقهم، ومن المئات الذين يعملون لمساعدة أهاليهم في مهن لا تناسب أعمارهم، أو تشكل خطراً عليهم، معرضين أنفسهم للحوادث أو سوء المعاملة بشكل مستمر من رب العمل، دون توفير عناصر السلامة العامة والحماية، ينقسمون بين عمال في الدكاكين وعلى عربات النقل ضمن المخيمات، وعمال مياومة خارجها.

سقط حازم مغمياً عليه في صيف 2020، ونتيجة وقوفه تحت أشعة الشمس الحارقة على قارعة الطريق، أصيب بحمى التيفوئيد، يقول لمجلة "طلعنا عالحرية": "لولا ستر الله لصدمتني سيارة عابرة، أسعفني سائقها، لحظة سقوطي.. ظنّ سائق سيارة التكسي أنه صدمني فوقعتُ مغشياً".

انقطع حازم عن العمل مدة أسبوعين حتى شُفي، ما كلّف عائلته اللجوء لتقشف شديد والاكتفاء بمخزون شحيح موجود لديها من الأغذية، مع القليل من المساعدات النادرة التي كانت تقدمها المنظمات العاملة في المخيم، كما وصفها.

نزح رفقة عائلته من بلدة تل حلف، إثر العملية العسكرية التي أطلقتها تركيا والفصائل الموالية لها على مدينة رأس العين وريفها في تشرين الأول/ أكتوبر عام 2019، وأدت إلى تهجير أكثر من300 ألف عائلة بين نازحين إلى مخيمات اللجوء ومراكز الإيواء، ولاجئين في دول الجوار.

أحلام الطفولة تتلاشى

"ستر رشك" الرئيس المشترك في إدارة مخيم واشوكاني، لدى حديثها لمجلة "طلعنا عالحرية"، تقر بخطورة عمالة الأطفال وسلبياتها، والقوانين الموضوعة التي تمنع من ذلك، إلا أن الظروف المعيشية الصعبة والارتفاع الجنوني لأسعار المواد الغذائية والاستهلاكية التي تقدر بالدولار الأميركي، أمام انهيار الليرة السورية، دفعت إدارة المخيم للتغاضي عن عمل الأطفال، في ظلّ نقص المساعدات التي تقدمها المنظمات الإنسانية، وخاصة الدولية العاملة في شمال شرق سوريا.

يعد مخيم واشوكاني مدينة مصغرة عن رأس العين، يقع قرب بلدة التوينة 13 كم غرب مدينة الحسكة، عدد قاطنيه 14500 موزعين على 1800 خيمة و3287 عائلة، ويضم ثلاث مدارس تعليمية من المرحلة الابتدائية والإعدادية إلى الثانوية، بحسب "ستر رشك".

وتؤكد "رشك" عدم تعرض أي من الأطفال العاملين في المخيم لحادث أو مشكلة، وهذا ما نفاه بعض الأهالي الذين قابلناهم، غير أن إدارة المخيم ليست على دراية بما يحصل خارجه.

لا إحصائيات دقيقة ولكن حوادث مؤكدة!

لا يوجد إحصائية دقيقة عن عدد أطفال المخيمات العاملين، والذين تعرضوا لحوادث العمل، لكن وفق جمع لقصص سردها من قابلتهم مجلة "طلعنا عالحرية" هناك إصابات عديدة.

ضمن مخيم الهول، أصيب شقيقان وطفل آخر (يعانون من الربو الصدري) بحالة من ضيق التنفس أثناء عملهم في توصيل المواد وسلل الإغاثة على عربة حديدية مقابل أجر بسيط يعطيها المستفيد لهم، ومن ضمنها مادة الكاز المستخدم في إشعال مواقد الطهي داخل الخيم، والتي تقوم إحدى المنظمات الإنسانية بتوزيعها على قاطني المخيم وفق بطاقة كل أسبوع.

كما تعرض 6 أطفال لسوء المعاملة من رب العمل، ما تسبب في تركهم العمل والتنقل من عمل لآخر منبوذين داخل المخيم.

وفي مخيم واشوكاني، تعرض طفل لكسر في اليد أثناء عمله بتوزيع مياه الشرب ضمن مدينة الحسكة، وانزلاقه من السلم الجانبي الذي يتمسك به من صهريج الماء، وتعرض 9 من الأطفال المياومين العاملين في حقل لزراعة الكمون بقرية مجاورة للمخيم للشتم والطرد جميعاً في ذات اليوم من مالك الأرض، وأصيب أحدهم بالحمى نتيجة ظروف العمل.

يقول المحامي كيلان أوسكان: "مع عدم جدية سنّ القوانين وتنفيذها، وعدم وجود احتياطات للسلامة من رب العمل، ما يجعل الأطفال معرضين لخطر إضافي، تشكل عمالة الأطفال انتهاكاً واضحاً لقانون العمال وحقوقهم، إذ تنص أحكام المادة 113 من قانون العمل السوري رقم 17 عام2010، بمنع تشغيل الأحداث من الذكور والإناث قبل إتمام مرحلة التعليم الأساسي أو إتمام سن الخامسة عشرة أيهما أكثر".

ويضيف: "قانون العمل يسمح للأطفال بممارسة بعض الأعمال التي لا تتطلب جهداً عضلياً، ولا يتجاوز مدة العمل ساعات محددة، وأن يتم تسجيل الطفل العامل لدى التأمينات الاجتماعية لضمان سلامته، لكن للأسف يتم تجاوز كل هذا".

منظمة اليونيسف التابعة للأمم المتحدة تؤكد في تقرير لها أن أكثر من 2 مليون طفل هم خارج المدرسة، ويواجه 1.3 مليون طفل خطر التسرب. ويعيش أربعة من خمسة أشخاص من السوريين تحت خط الفقر داخل سوريا، مما يدفع بالأطفال لاتخاذ تدابير قصوى للبقاء على قيد الحياة، مثل التوجه إلى العمل والزواج المبكر والتجنيد للقتال، وذلك لمساعدة أفراد عائلاتهم في سد الرمق.

خفض في الأجر

عماد (15 سنة) النازح وعائلته من ريف تل تمر، يقوم بنقل صناديق تحوي خضروات وفواكه من شاحنة صغيرة ليضعها على الرصيف متراكمة فوق بعضها أمام دكان في بلدة التوينة، والعرق يتصبب منه رغم برودة الطقس، يقول لمجلة "طلعنا عالحرية": "أعمل أكثر من 8 ساعات مقابل 2000 ليرة في اليوم، ضعف الحال وقرب البلدة من المخيم هو ما دفعني لقبول هذا الأجر الزهيد".

من جانبه شارك والده بالحديث، وهو موظف متقاعد لدى حكومة النظام السوري، موضحاً: "منذ بداية الحرب ونحن نعيش في مأساة تتكرر وبشكل يومي، وضحيتها وبدون ذنب، أطفالنا، الذين ابتعدوا عن التعليم وتحملوا المسؤولية كالكبار"، واصفاً من هاجر إلى الدول الأوروبية، بأنه "يعيش في الجنة ومستقبل أولاده مؤمن".

ويضيف والغصة في حلقه كلقمة يصعب بلعها: "أطفال العالم يذهبون كل صباح إلى المدرسة لتلقي التعليم، بينما أطفالنا يتجهون إلى العمل لكسب لقمة العيش، إنها الحاجة والفقر".

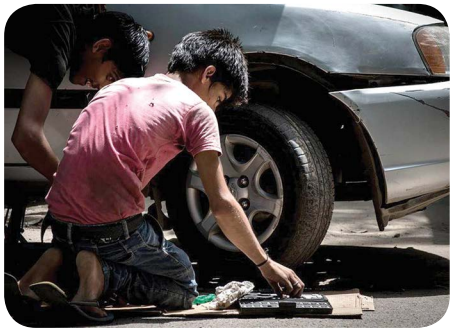

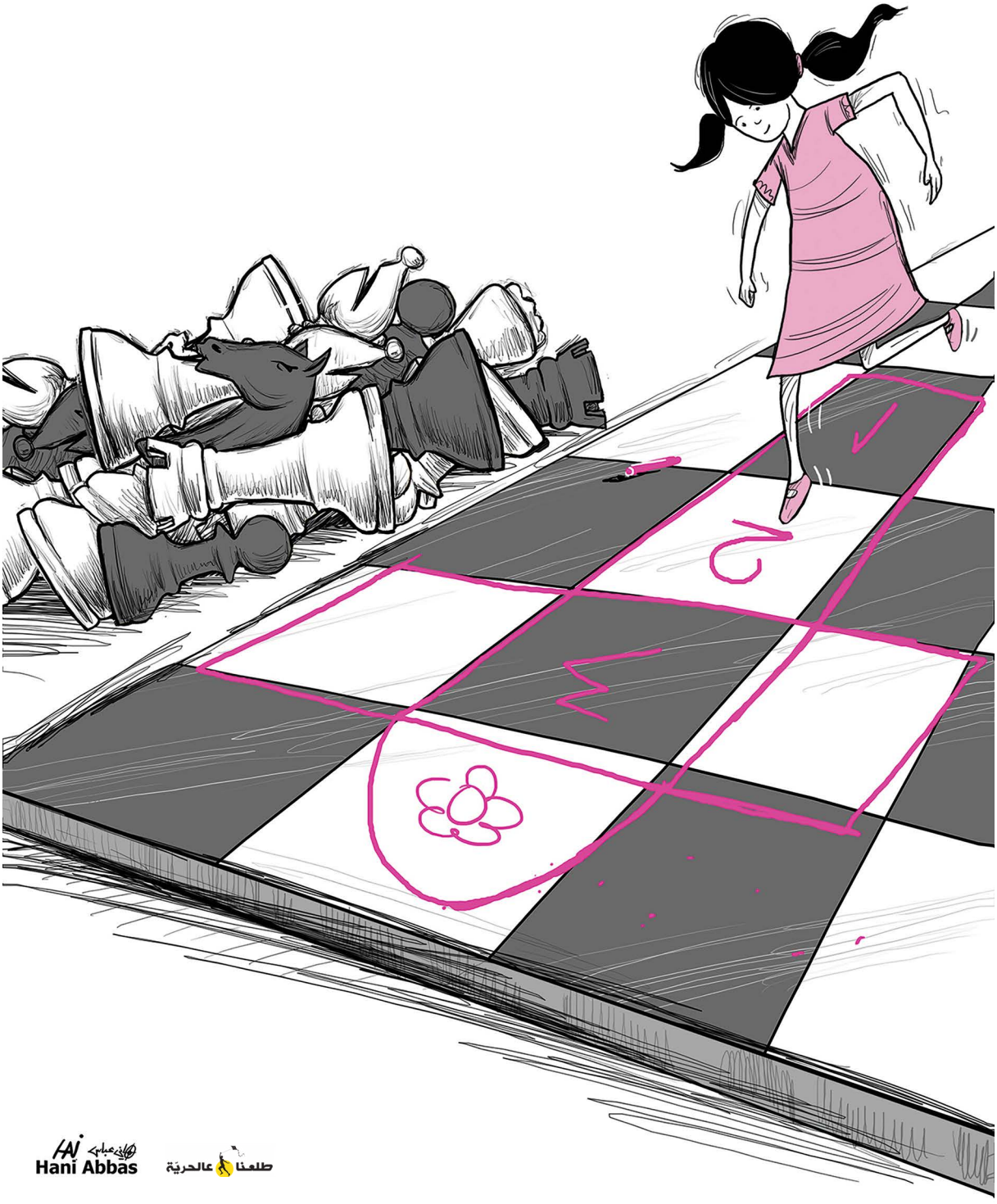
Hani Abbas
طلعنا عالحرية

الرواية الكرديّة السوريّة المعاصرة
بين واقع شائك وأفق مأمول

خاص - طلعنا عالحرية

بعيدًا عمّا سمّي بصراع الثقافات ومحاولات فرض بعض الثقافات على حساب بعض آخر، تتناول مجلة "طلعنا عالحرية" في هذا التحقيق، مع عدد من الكتّاب الكرد السوريّين واقع الرواية الكرديّة السوريّة المعاصرة وآفاقها المستقبلية في ظلّ واقع سياسي مأزوم في سوريا والمنطقة عمومًا. سائلين إياهم عن نظرتهم لمسألة تقديم الكتّاب الكرد السوريّين الذين يكتبون باللغة العربيّة ويتمّ تقديمهم وتسويقهم ككتّاب سوريّين. وهل أنّهم كتبوا روايات باللغة الكرديّة؟ فإن كانت الإجابة بـ(لا) فما هي الأسباب؟ وإن كانت (نعم)؛ أهو شعورهم القومي ما دفع بهم إلى الكتابة بالكرديّة أم ثمّة دافع آخر، وهل أنّ كتابة الكرديّ بلغته واجب قومي؟

وفي هذا السياق تستوقفنا المأساة التي تتّسم بالغرابة، والتي يعيشها معظم الكتّاب الكرد في عموم منطقتنا، ألا وهي الكتابة بلغة محكية غير مدرسية، لغة محظورة من قبل الأنظمة الرسمية المستبدّة. فكيف تعايشوا مع هذه التجربة؟ من ثمّ ونحن نتحدّث عن الأدب الكرديّ فإنّنا نتحدّث عن تجربة غير مكتملة تعيش تحت مطرقة حظر أزلي في المنطقة، فما الذي يتأمله كل ممن حاورتهم المجلة من وراء الكتابة بلغة محظورة لا تملك سوى عدد محدود من القراء؟ وفي سياق تناولنا لهذا الموضوع كان لزامًا علينا أن نسأل عن إشكالية اللغة، فهناك ثلاث لهجات كرديّة رئيسيّة (الكرمانجيّة والسورانيّة والزازيّة)، وكذلك هناك أبجديتان رئيسيّتان (اللاتينيّة والعربيّة). فما الذي يتطلبه تقديم أدب كرديّ ذي هويّة موحدة وجامعة؛ أهو اعتماد أبجدية موحدة أم الاكتفاء بتغيير الرسم عند التنقل بين اللهجات الكرديّة؟ فكان هذا التحقيق..

البداية كانت مع الروائيّ الكرديّ السوريّ جان دوست، المقيم في ألمانيا، والذي أجاب على أسئلتنا قائلًا: الكتابة باللغة العربيّة أمر طبيعي بالنسبة للكتّاب الكرد السوريّين. لم يكن أمامنا حلّ سوى الانخراط في الكتابة بالعربيّة بسبب تهميش ومنع اللغة الكرديّة في سوريا.

دوست: مواجهة الإبادة اللغوية

صاحب «كوباني» أضاف: النظرة الشوفينية الضيقة، وإقحام السياسة في مسألة الثقافة سببت ما يمكن أن نسمّيه الإبادة اللغوية بحقّ الأكراد السوريّين. وفي حين يمكن أن تصبح اللغة الكرديّة مصدر ثراء ثقافي في الموزاييك السوريّ، اعتبرت لغة دخيلة منعت الدولة بشكل ممنهج تطويرها وفتح الآفاق الرحبة أمامها. لكن بالرغم من كلّ ذلك لم تمت اللغة الكرديّة، بل برز هناك كتّاب وشعراء في سوريا لا يكتبون إلّا باللغة الكرديّة.

يتابع دوست قائلًا: أنا شخصيًّا كتبت روايات عديدة باللغة الكرديّة. تعلمت كتابة الكرديّة في المنزل. وهي كانت وسيلة التخاطب الوحيدة في العائلة والشارع والمجتمع المحيط. ما دفعني إلى الكتابة بالكرديّة هو الدافع القومي قبل كلّ شيء. شعور بالظلم دفعني إلى الانتصار لهذه اللغة وإنصافها والمشاركة في إنقاذها من الذوبان في أتون اللغة المهيمنة.

بطبيعة الحال لم يكن مستوى اللغة التي كتبنا بها على درجة من الرقي والنضج في المفردات والتعابير كما هو لدى أشقائنا الكرد الذين يكتبون بالسورانيّة (اللهجة الكرديّة الوسطى المكتوبة بالأحرف العربيّة والمستعملة في كلّ من إيران والعراق). لكن لغتنا تطورت ببطء. انبرى لتطويرها لغويون أكراد وشعراء وكتّاب بإمكاناتهم البسيطة المتاحة في ظلّ المنع. ورويدًا رويدًا وصلت اللغة

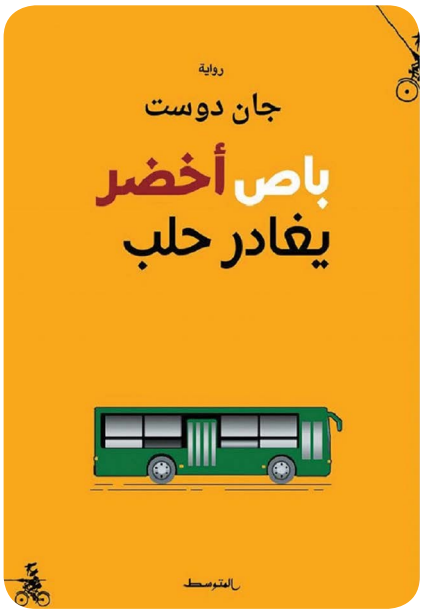

الكرديّة (الكرمانجية) إلى مستوى قريب من اللغة الفصحى، النموذجية أو الستاندارد. الآن يكتب جميع الكرد الكرمانج بلغة شبه موحدة.

يؤكّد صاحب «باص أخضر يغادر حلب»، أنّ الكتابة بالكرديّة لا تجلب لا الشهرة الواسعة ولا المال الكثير. ومع ذلك لا غنى له عنها. مضيفًا: إنّها مسألة تتعلق بالروح ووعي الذات. أنا ابن هذه اللغة، فتحت عيني على أبوين وإخوة وجيران يتكلمونها. هي كما قلت ذات يوم شعلة جميلة ورثتها من أبي وأمي وأورثتها لأبنائي وسأحملها في يدي حتى لو احترقت أصابعي. لم أكتف فقط بكتابة روايات كرديّة بل ترجمت كلّ رواياتي التي كتبتها بالعربيّة إلى الكرديّة وكأنّني أعيد خروفًا ضالًا إلى أمه. لكنّني لا أخلط اللغة بالسياسة. هناك كثيرون يلومونني على استعمال العربيّة في وسائل التواصل الاجتماعي. لكنّني لست في وارد التزمت اللغوي. اللغة أداة مثل الموسيقى. ولغتي جزء من ذاتي وهويّتي، لكنّني نجحت في توسيع حدود هذه الهويّة.

صاحب «مخطوط بطرسبورغ»، يشدّد على أنّ اللغة الموحدة حلم لن يتحقّق بأمنياتنا نحن الكتّاب. ربما تتحقّق هذه الأمنية في ظلّ دولة قوميّة مركزيّة.

وفي نهاية حديثه معنا يبيّن جان دوست، أنّ الرواية الكرديّة تتقدّم بخطى واثقة. وأنّ جيلًا برز يقرأ بالكرديّة بالرغم من كلّ محاولات الصهر القومي كما حدث في تركيا مثلًا. ولكي لا أبالغ في التفاؤل أقول: لقد انكشف الغطاء عن القمقم، لكن المارد لم يخرج بعد.

أوسي: خلق هويّة أدبيّة كرديّة

من جهته، يرى الروائيّ الكرديّ السوريّ هوشنك أوسي، المقيم في بلجيكا، أنّ الكتّاب الكرد السوريّين الذين يكتبون بالعربيّة أو الكرديّة، أو أيّة لغة أخرى، هم سوريّون. تصنيفهم على هذا النحو، من طبائع الأمور. وعدم اعتبارهم سوريّين، سواء من أقرانهم السوريّين، أو حتّى من قبل أنفسهم، هذا من أعراض وأمراض وفيروسات الوعي القومي أو الوطني المعطوب. يضيف صاحب «الأفغاني: سماوات قلقة»: كتبتُ الشعر والمقال والدراسة باللغة الكرديّة، ولم أكتب الرواية بعد. يمكنك اعتباري كائن ثنائي اللغة. سأكتب الرواية بلغتي

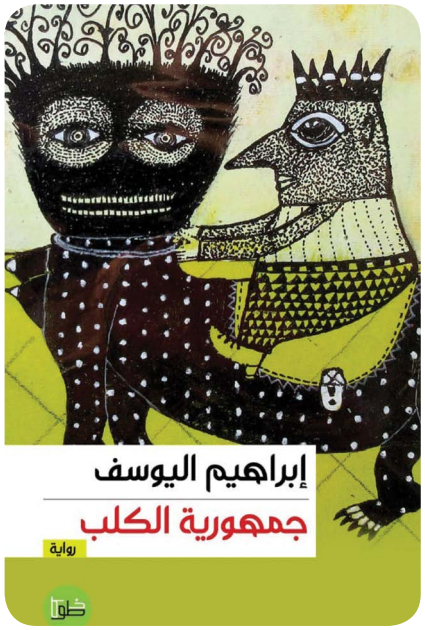

الأمّ الأولى. لم أكتبها باللغة الكرديّة، لأنّني لا أميل إلى فكرة كتابة الأدب؛ الشعر والرواية، من منطق الواجب القومي. بخلاف بعض الزملاء الذين كتبوا روايتهم بالكرديّة، ثمّ قاموا بترجمتها للعربيّة، أو العكس؛ كتبوها بالعربيّة، وترجموها إلى الكرديّة. كتابة الرواية باللغة الكرديّة، بالنسبة لي، ليس دليل أو مقياس أو وثيقة تثبيت حضور أو انتماء قومي. يؤكّد أوسي أنّ رواياته متعدّدة الأمكنة والهويّات، وأنّها لا تعاني من هوس التمحور حول الذات الكرديّة. بل ترى الهمّ والغمّ الكرديّ، كجزء من الهمّ الإنساني العامّ.

يتابع صاحب «حفلة أوهام مفتوحة» حديثه معنا قائلًا: صحيح أنّ الأدب الكرديّ كان ولايزال "يعيش تحت مطرقة الحظر في المنطقة"، لكن التحدّث عن الأدب الكرديّ بوصفه تجربة غير مكتملة، وأنّه لا أمل في الكتابة بلغة محظورة لا تملك سوى عدد محدود من القراء" هكذا رأي، مبالغ فيه. هناك دور نشر كرديّة نشطة في تركيا. مؤخرًا، صرنا نرى ولادة دور نشر في شمال سوريا، وفي أوروبا أيضًا. زد على هذا وذاك، هناك نسبة قراءة مقبولة على مواقع التواصل الاجتماعي للنصوص الكرديّة. شخصيًّا، حتّى لو بقي هناك قارئ واحد يقرأ بالكرديّة، سأكتب له قصائد باللغة الكرديّة، ولاحقًا سأكتب له رواية أيضًا.

اليوسف: الإبداع شأن فردي

أمّا الروائيّ الكرديّ السوريّ إبراهيم اليوسف، فيرى أنّ ثمّة ثنائية يعيشها الكاتب الكرديّ في سوريا، أيًّا كان، تتعلق بتحديد هويّته: أهو كرديّ سوريّ؟ أم سوريّ كرديّ؟ أم مجرد سوريّ كما تحاول بعض الجهات الإعلامية إدراج هذا المصطلح، بعد أن كان ولا يزال يُنظر إليه، بأنّه كاتب: عربيّ سوريّ، أو تحديدًا لا ينظر إليه إلّا كعربيّ سوريّ، من دون أيّ اعتراف رسمي- بهويّته الخاصّة- لطالما هو "مواطن" وهي مواطنة منقوصة، مشكوك بها، في "الجمهورية العربيّة السوريّة"، كما آل أمر التسمية، بعد أن كانت" الجمهورية السوريّة". يضيف صاحب «جمهورية الكلب»: في سياق حديثه مع "طلعنا عالحرية"، من مقر إقامته الدائم في ألمانيا، أنّه في ظلّ فرض مجرد لغة رسميّة في البلاد، وإنكار وجود مكوّنات أصيلة أخرى، تعيش في مكانها أبًا عن جد، تمّت محاولات محو لغة الآخر، في إطار تذويبه في بوتقة الذات، واشتغل من أجل هذه الديمومة: صاحب القرار العنصري، وظلّه رجل الأمن.

ويختم صاحب «خارج سور الصين العظيم.. من الفكاهة إلى المأساة»، قائلًا: إنّنا أمام روايتين كرديّتين في سوريا: رواية كرديّة مكتوبة بالعربيّة، وأخرى مكتوبة باللغة الأمّ، وطبيعي، أنّ الإبداع -عادة- هو شأن فردي، لذلك فإنّنا نجد كيفًا مائزًا ضمن الكم العامّ. نجد أسماءً وأعمالًا جدُّ مهمّة، لا تقل تقويمًا وقيمة جماليّة عما يندرج ضمن الفضاء العامّ لرواية المكان: سواء أتلك المكتوبة باللغة الرسميّة، أو اللغة الأمّ، ولا أريد أن أشير إلى أسماء ما لئلا أظلم سواها، بالرغم من الكثير من التعتيم عليها حتى من قِبل الإعلام الكرديّ...

زارا صالح: هويّة وقضية وجود والتزام

من مقر إقامته في لندن، يجيب الروائيّ الكرديّ السوريّ زارا صالح، على أسئلتنا في ظل الواقع السياسي السوريّ الشائك، قائلًا: لجأ العديد من الكتّاب الكرد إلى الكتابة بالعربيّة وذلك كنتيجة طبيعية لواقع سياسي ساد في سوريا، والذي اعتمد اللون والثقافة واللغة الواحدة وسلطة مركزيّة سعت دومًا إلى صهر كافّة المكوّنات السوريّة في بوتقة العروبة عبر محاولة إلغاء هويّتها القوميّة والثقافيّة والدينيّة، وكان للكرد النصيب الأوفر من تلك المشاريع الاستثنائيّة من سياسات التعريب وطمس الهويّة واللغة الكرديّة أيضًا حيث الحظر والمنع وحتى الاعتقال بمجرد حيازة كتاب باللغة الكرديّة. ولعل الكتابة بالعربيّة كانت إحدى وسائل التعبير لرفض هذا الواقع ووسيلة للتواصل مع الوسط المحيط لنقل تلك المعاناة لشعب بأكمله، ولهذا يتم تقديم هؤلاء الكتّاب كسوريّين ولكنّهم كرد في هويّتهم القوميّة والثقافيّة رغم الكتابة بلغة القوميّة السائدة. وبتقديري سياسات هكذا أنظمة تعكس خللًا بنيويًّا وفكريًّا لسلطة حاكمة ورأي جمعي متماهي معه يخالف الطبيعة البشريّة والكونيّة التي رتبها وخلقها الله بمختلف التلوينات شعوبًا وأممًا ولغات مختلفة.

ويرى صاحب «الفرقة 17»، أنّه رغم كلّ تلك القيود على اللغة الكرديّة فانّ كتّاب كرد من سوريا كتبوا بلغتهم الأمّ وتحدوا ذلك الواقع إلى جانب الكتابة باللغة العربيّة. ولا يخفي صالح أنّ كتاباته الأدبيّة بدأت أوّلًا بالكرديّة، وشملت القصص القصيرة منها الساخرة والطويلة، ومن ثمّ المقالة السياسية،

الرواية الكرديّة السوريّة المعاصرة
بين واقع شائك وأفق مأمول

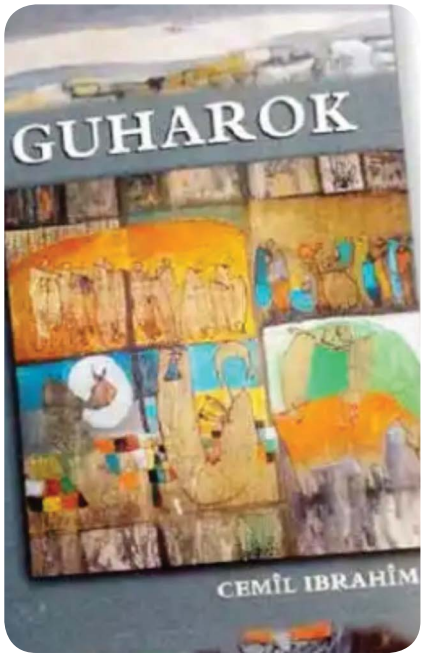

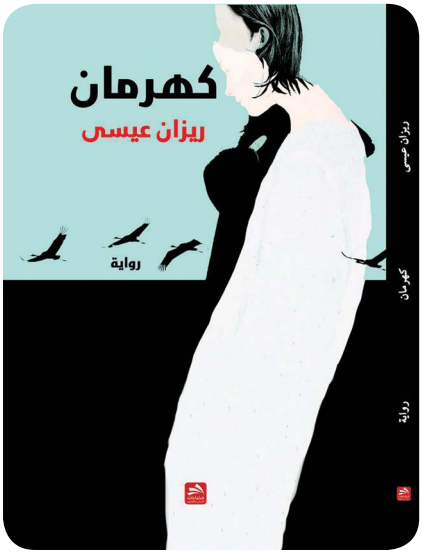

مبيّنًا أنّه شرع في كتابة رواية ولديه قصة قيد الطباعة. يقول: حقيقة أجد نفسي أكثر مع لغتي الكرديّة وابحر بحرّية مطلقة مع الأمواج بعيدًا عن الترجمة في العقل عندما أكتب بلغتي الأمّ مقارنة مع العربيّة والإنكليزيّة، ورغم قلّة القراء والمتابعين مقارنة مع العربيّة في سوريا فإنّ الكتابة بالكرديّة تعني بالنسبة لي الهويّة وجواز السفر وقضية وجود والتزام، ولا يمكن عزلها عن السياسة لأنّها إحدى نتاجاتها التي تحاول إلغاء شعب.

إبراهيم: معاناة من التضخم في الكم

الروائيّ الكرديّ السوريّ جميل إبراهيم، يقول لـ"طلعنا عالحرية"، جوابًا على أسئلتنا: ليس بخافٍ أنّ معظم الكتّاب الكرد في سوريا يكتبون باللغة العربيّة، وهذا الأمر ناجم بالأساس عن حقيقة أنّ الكرد في سوريا مرغمون على التعلم والدراسة باللغة العربيّة، إلى جانب الحظر والمنع الكلّي، وتحت طائلة أقسى العقوبات، للغة الكرديّة، ليس في المدارس وحسب، بل وحتّى في البيوت، وتطال العقوبات تلك كلّ من يُعثر بحوزته على كتاب أو مجرد كتابة باللغة الكرديّة، ورغم أنّه في تسعينيات القرن الماضي وما تلاها، خفت قليلًا تلك الرقابة الصارمة على اللغة الكرديّة، وباتت السلطات تغض الطرف عن تواجد بعض الكتب واقتنائها هنا وهناك، إلّا أنّه لم تكن هناك أيّة مدرسة أو معهد للتعليم باللغة الكرديّة في أيّ مكان في سوريا، لا حكوميّة ولا خاصّة؛ لذلك كانت الكتابة باللغة العربيّة بالنسبة للكتّاب تحصيل حاصل، أو كما يقال مكره أخاك لا بطل؛ لذلك يُنظر إليهم باعتبارهم كتّابًا سوريين؛ أما الكتّاب الكرد الذين كتبوا، ويكتبون، بلغتهم الأمّ، فقد تعلموها بجهودهم الخاصّة، ولا شكّ في أنّها كانت جهودًا مضنية، وتكاليفها باهظة، لا سيما المعنويّة منها، وقد وجدنا مثل هذا الأمر في بلدان أخرى كالجزائر مثلًا...

يتابع صاحب «التين البري»، حديثه معنا من مقر إقامته الدائم في مدينة دورتموند الألمانية، قائلًا: أنا، كتبت رواية باللغة الكرديّة وترجمتها فيما بعد إلى اللغة العربية، كما كتبت سردية أخرى هي من قبيل "أدب الرحلات"، وترجمت رواية «شنكالنامة» للشاعر والروائيّ إبراهيم اليوسف إلى اللغة الكرديّة.

ويلفت جميل إبراهيم في ختام حديثه معنا إلى أنّ الأدب الكرديّ السوريّ يعاني من التضخم في الكم من الذين يتنطعون للكتابة بلغتهم، والعوز الواضح في الكيف ونوعية الكتّاب سواء في مجال الشعر أو القصة والرواية وغيرها.

عيسى: توسيع دائرة القراء

ننهي تحقيقنا هذا مع الروائيّ الكرديّ السوريّ ريزان عيسى، المقيم في مدينة آخن الألمانية، والذي أفادنا أنّ معظم الكتّاب الأكراد السوريّين يكتبون بالعربيّة ويقدّمون ككتّاب سوريّين. مؤكّدًا أنّه لا يجد أيّ إشكالية في تسويق أعمالهم وتقديمهم على أنّهم سوريّون لأنّهم يعيشون في بلاد تضم موزاييك من الأعراق الأخرى غير العربيّة. ويضيف: بالنسبة إلي تناولت في روايتي الأولى «كهرمان» شأنًا كرديًّا خالصًا، ويتم تقديمي غالبًا على أنّني كاتب كرديّ سوريّ، وهذا يؤكّد هويّتي الكرديّة القوميّة وجنسيتي السوريّة.

صاحب «بورتريه» (قيد الطباعة)، أوضح في حديثه معنا أنّ هنالك الكثير من الصعوبات التي تواجه الكتّاب الكرد ولا سيما مع غياب المرجعيّات المؤسّسيّة التي تهتم بتطوير اللغة وتحديثها لتواكب بقية اللغات الحيّة، فالكرديّة المكتوبة تتأرجح كثيرًا بين اللغة المقفاة التي يتداولها المهتمون والمتابعون لها وبين اللغة المحكية البسيطة والمتداولة بين عموم الناس، والتي يعمد بعض الكتّاب إلى اعتمادها لينتشر المنتج بين شريحة أوسع من القراء. لكنّني للأسف لم أحذوا حذوهم في تعلم تقنية الكتابة بلغتي الأمّ الكرديّة، اللغة هي الحامل الحي للهويّة لأنّها تجسر بطريقة ما المسافة بين الموضوع الذي يتناول الهمّ الكرديّ على سبيل المثال وبين المنتج الروائيّ الذي قد يصدر بالعربيّة فيبدو جليًا للقارئ أنّ الكاتب يفكر بالكرديّة ويكتب بالعربيّة فتشعر بأنك تقرأ كتابًا مترجمًا.

وأشار عيسى إلى أنّ روايته «كهرمان» ترجمت مؤخرًا إلى الكرديّة باللهجة الكرمانجيّة، ورغم استخدام المترجم لكثير من مفردات اللهجة السورانية والتي أمكن فهمها في سياق السرد لأدرك أنّ الكرديّة بلهجاتها المختلفة وباستخدام الأحرف اللاتينيّة قادرة على خلق الانسجام والتآلف بحيث يمكن تضييق المسافة بين تلك اللهجات.

وفي ختام حديثه معنا يقول ريزان عيسى: هناك الكثير من الأعمال الروائيّة التي صدرت في السنوات الأخيرة باللغة الكرديّة لكتّاب أكراد سوريّين يكتبون بالكرديّة أو تترجم أعمالهم للكرديّة رغم الصعوبات التي تواجههم من جهة نشر الأعمال وتسويقها نظرًا لقلّة دور النشر التي تصدر العمل وتسوقه، وكذلك لقلّة عدد القراء ممن يقرأ الرواية بالكرديّة.

في الظلمة تتفتح الأحلام

تأليف: بنديك سورفيغ
مراجعة: حواس محمود

يتحدث الكتاب الصادر عن (دار الجديد - ط1 2020) عن الثورة السورية من بدايتها حتى عام 2017، يربط المؤلف النرويجي الحدث الثوري السوري وتحولاته بيوميات وتحولا ت 6 شخصيات سورية فاعلة شاركت في صناعة الحدث الثوري في سوريا.

وبحسب المؤلف فإن هذا الكتاب ينطلق من رغبته "في أنسنة ما حدث من خلال تتبع، صفحة تلو صفحة، حياة من حلموا وآمنوا بالتغيير وشاركوا فيه: الكاتب ياسين الحاج صالح وزوجته سميرة الخليل والمدونة مارسيل شحوارو والمهندس عبيدة أبو قويدر والصناعي مروان الحميد وطالب الطب كاوا"

يبدو أن المؤلف قد حاول أن تكون شخصياته المتناولة من كل المكونات السورية أو معظمها، ومن أكثر من منطقة سورية وعلى أكثر من شريحة، فنجح في متابعة يوميات الثورة السورية وهو يبدي تعاطفه وتأييده لمطالب الثورة السورية وامتعاضه من التحول الذي طرأ على مسار هذه الثورة وطبيعتها، باعتبارها ثورة سلمية نادت بالحرية والكرامة وإسقاط النظام الاستبدادي، وكانت تمثل كل مكونات الشعب السوري، إلى ثورة مسلحة اعتمدت على أجندات خارجية وتم اختراقها بفصائل متطرفة مارست العنف وتشتيت صفوف الثوار مدعومة من قوى إقليمية ودولية، أدت إلى إضعاف الجيش الحر وحالت دون أن يتصدر هذا الجيش المشهد السوري للنضال ضدّ النظام، كما ظهر في بداية الثورة السورية وحركة الانشقاقات التي شكلت زخما كبيراً للثورة والثوار.

يبدأ المؤلف كتابه بفصل عنونه "بالروح والدم.. والبلاد" يتحدث عن خطاب الطاغية بشار الأسد في مجلس الشعب في 30 مارس 2011 والشعارات والتصفيقات التي قوبل بها من مؤيديه داخل قبة البرلمان وخارجه، كما أنه يربط هذا الحدث بالشخصيات التي يتناولها ومدى تأثير هذا الحدث على هذه الشخصيات؛ فالطالب عبيدة أبو قويدر ذو الثلاثة والعشرين عاماً لم يتمكن من متابعة الخطاب لأن النظام كان قد قطع التيار الكهربائي بعد دخول جنوده درعا منطلق الثورة وذلك لعقوبتها.. هذه الممارسات أثرت على عبيدة وغيرت من حياته البسيطة رأساً على عقب.

في تلك اللحظة في بلدة كفرومة التابعة لمحافظة إدلب كان مروان الحميد وهو في الثامنة عشرة من عمره ويدير معملاً لغزل القطن، كان مروان وعائلته يتابعون الخطاب الجاري في البرلمان السوري، وفي مقصف كلية الطب جامعة دمشق جلس أعضاء اتحاد الطلبة التابع لحزب البعث يهتفون لبث روح الحماسة "الله سورية بشار وبس" علماً أنهم قبل يوم واحد كانوا قد نظموا مسيرة عامة دعماً للطاغية في العاصمة، وهذه المسيرة بالطبع لاستعراض شعبية النظام ورداً على مظاهرات الشعب ضد النظام والمطالبة بالتغيير.

لاحظ طالب الطب الكردي العشريني كاوا أن مجموعة من زملائه هم الذين هتفوا وحمسوا في انتظار الخطاب، أنهم شباب مثله.. لكن كاوا لم يصدق وعود النظام بالإصلاح؛ إذ أن ما حدث في درعا سجلته عدسات كثيرة، وتم قتل العديد من المتظاهرين، كما أن القتل قد استمر حتى بعد هذه الوعود.

مارسيل شحوارو، الطالبة التي تخرجت للتو طبيبة أسنان من جامعة حلب هي الأخرى مرت على الكلية لرؤية زملائها. وجدت نفسها قبالة شاشة كبيرة في الجامعة بانتظار البث المباشر لخطاب الطاغية، كان الترقب سيد الموقف والتوقعات كثيرة، إذ ضم المكان مؤيدين للنظام، ومعارضين يتبادلون الابتسامات الحمالة لمعان كثيرة، ومستقلين لم يحسموا موقفهم بوضوح بعد.

في الكلية نفسها حيث كانت مارسيل تنتظر البث المباشر، كان الكاتب ياسين الحاج صالح قد تجول آنذاك في هذه الممرات والقاعات، تذكر ياسين ابن الرقة المقدمات التي أفضت به الى السجن.

يتساءل المؤلف تعليقاً على تكرار حدث مأساوي بالقول "ألم تبدأ الأمور يومها تماماً كما هي الأحوال اليوم في إدلب؟".

بعد 30 سنة على تلك السنوات القاسية جلس ياسين مع زوجته سميرة الخليل في شقتهما الواقعة في ضاحية قدسيا غرب دمشق ينتظران قبالة شاشتهما الصغيرة خطاب الطاغية، لا أمل يرتجى في أن تصل عدوى الربيع العربي إلى سوريا، هذا ما توقعه ياسين، فالقمع الذي مورس في درعا يؤكد أن

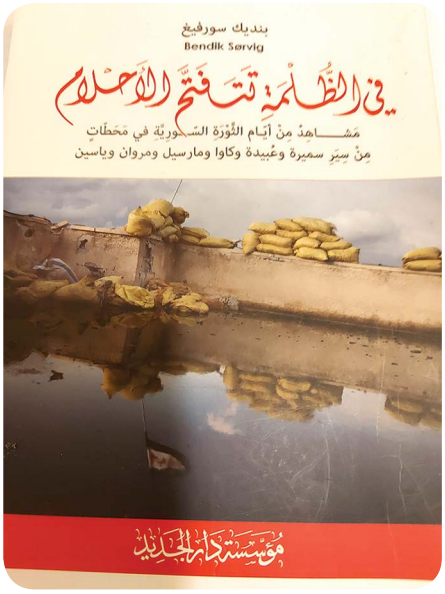

أساليب النظام القمعية والعنفية لم تتبدل.

فصول الكتاب تناولت عدة موضوعات تعطي صورة عن مضامينها، منها: بالروح بالدم.. والبلد، الجدران إن حكت، عهد جديد، ياسين والقائد الأبدي، مارسيل في الميدان، تركة حماة الثقيلة، الشبيحة، الثورة، العقل الأمني، ساحات الإعدام الافتراضية، الجيش ينقسم على نفسه، الثورة تتعسكر، سلمية سلمية، حلب المقسمة وأعلام الدولة، كاوا والاعتقال الثاني، كاوا والاعتقال الثالث وأطياف قيصر، الجيش الحر يتلاشى، من السلمية إلى الحرب الكونية، أوباما وسراب الخطوط الحمراء، وداعاً حلب، الجبهة الجنوبية، حروب الآخرين، تعب هي الحرب، مارسيل وياسين.

يتابع المؤلف تحركات الشخصيات المتناولة، مستفيداً من علاقاته الواسعة بالناشطين ومؤيدي الثورة السورية، ومن عمله الإغاثي في سوريا، وإقامته في لبنان حوالي عقدين، والتقائه بعشرات السوريين والسوريات من شتى الخلفيات المهنية والسياسية.. مختتما كتابه بالقول: "سوريا اليوم في ظلام دامس، ولكن أليس في الظلمة ما تتفتح الاحلام؟".

ختاماً تكمن أهمية الكتاب من كونه من الكتب النادرة أوروبياً، والتي تتحدث عن المأساة السورية من بداية الثورة، مروراً بالانتكاسات المتتالية، وصولاً إلى منتصف 2017، ومتابعته جاءت في الكاتب بصورة دقيقة، لكونه كان قريباً جداً من الحدث ومن الشخصيات المتناولة والعديد غيرها، وبالتالي هذا الكتاب يعتبر وثيقة أوروبية باللغة النرويجية.

"الثقافة الفلسطينية" تؤبّن حاتم علي وتطلق اسمه على شارع في طولكرم بالضفة الغربية

أقامت وزارة الثقافة الفلسطينية في "قصر رام الله الثقافي" في مدينة رام الله بالضفة الغربية، حفل تأبين للفنان السوري الراحل حاتم علي، ابن الجولان المحتل، بمشاركة فرقة موسيقية تعزف أغاني مسلسلات أخرجها الراحل. وقال وزير الثقافة د. عاطف أبو سيف في افتتاح الحفل: "نعيش في ظلال فنان مبدع، رحل في منتصف ظهيرة العمر، ولم يقطف بعد ريعان الحياة من أرض كنعان، من الجغرافيا العصيّة على النسيان، فلسطين، البلاد التي واعدها يوماً أن يكون على أرضها، وأن يتنشّق طعم التغريبة من أزقة مخيّماتها...". واشتمل الحفل على كلمات مصوّرة لفنانين سوريّين كبار شاركوه أعماله الخالدة، فتحدث عبر السكايب الفنانة القديرة منى واصف، والممثل الفلسطيني السوري زيناتي قدسية، والممثلة نادين سلامة، والنجم جمال سليمان الذي ركّز على انشغاله الدائم بالهمّ الوطني والاجتماعي والسياسي. وممّا جاء في كلمة منى واصف: "لن أفي حاتم علي حقه، مهما تحدثت عن إبداعه وروعته وإنسانيته. وأكتفي بأن أقول له: "نيّالك حاتم علي"، باسمك بات ثمّة شارع في فلسطين، نعم في فلسطين".

وكانت وزارة الثقافة الفلسطينية أطلقت على شارع في مدينة طولكرم بالضفة الغربية، باسم الفنان الراحل حاتم علي، في نهاية الشهر الماضي، بحضور وزير الثقافة د. أبو سيف، ومحافظ طولكرم، وممثلي فصائل العمل الوطني، والفعاليات الشعبية في المحافظة.

السورية مها حسن تترشح لجائزة "نجيب محفوظ للأدب"

ترشحت الروائية السورية مها حسن، المقيمة في فرنسا، للقائمة القصيرة لجائزة "نجيب محفوظ للأدب" لعام 2021، بحسب ما أعلنت "دار نشر الجامعة الأميركية" في القاهرة، مطلع الشهر الحالي.

وقالت "دار النشر" في بيان لها، إنّ "الروايات المرشحة للجائزة هي: «حيّ الدَّهشة» للسورية مها حسن، و«اختفاء السيد لا أحد» للجزائري أحمد طيباوي، و«في مدن الغبار»، للمصرية أمل رضوان، و«حصن الزيدي» لليمني الغربي عمران، و«حجر بيت خلاف» للمصري محمد علي إبراهيم، و«كحل وحبهان» للمصري عمر طاهر". وأضاف البيان، أنّ هذه الأعمال اختيرت من ضمن 270 رواية رشحت للجائزة من جميع دول العالم العربي ومن دول المهجر، مشيرة إلى أنه سيعلن عن الفائز في آذار/مارس المقبل. وتشكّلت لجنة التحكيم برئاسة الناقدة الأدبية وأستاذة الأدب الإنجليزي والمقارن بجامعة القاهرة شيرين أبو النجا، وعضوية المترجمة سماح سليم والناقدة هبة شريف (من مصر)، والمترجم البريطاني همفري ديفيز، والكاتب والمترجم السوري ثائر ديب. وتبلغ قيمة الجائزة 5000 دولار وميدالية عليها صورة الأديب المصري نجيب محفوظ، إضافة إلى ترجمة الرواية الفائزة للغة الإنجليزية ضمن مطبوعات "دار نشر الجامعة الأميركية" بالقاهرة. والروائية مها حسن، من مواليد مدينة حلب. صدر لها العديد من الأعمال الروائية. ووصلت رواياتها «حبل سري» و«الراويات"، إلى اللائحة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر)، كما وصلت رواياتُها «مترو حلب»، و«عمت صباحاً أيتها الحرب»، و«حي الدهشة" إلى اللائحة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب.

صدور «رهان الغيم» المجموعة القصصية الأولى للروائي أيمن ناصر

«رهان الغيم» المجموعة القصصية الأولى للروائي والفنان التشكيلي السوري أيمن ناصر، بعد روايتيه «اللحاف» 2008، و«روجين» 2019. ضمت المجموعة، الصادرة مؤخرًا، القصص التالية: (رائحة الخبز، رهان الغيم، الندبة، الجرف، الصعود إلى القمة، السقطة الأولى، الرجال يبكون أيضاً، روجين، حين اهتز الجسر، شجن، عمامة بحجم كفن، ووجع النوارس). والمؤلّف من مواليد الرقة عام 1958. وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب، ومؤسّس لجمعية "ماري للثقافة والفنون" في سوريا. وحائز على دبلوم فنون تشكيلية. نال ناصر جائزة "ابن قرة الحرّاني" في القصة القصيرة 2008 عن قصة «رهان الغيم». وله العديد من الدراسات الأدبية والقصص في الصحف السورية والعربية. وكان أن أسس "ملتقى الأدباء والكتّاب السوريين" في مدينة شانلي أورفا التركية حيث يقيم حاليًا.

إبداعات ونشاطات سورية

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

«رجل يحضن شمال العالم» مجموعة شعرية جديدة لنادر القاسم

صدر للشاعر السوري نادر القاسم، المقيم في الدانمارك، ديوان موسوم بـ «رجل يحضن شمال العالم»، عن دار الدراويش للنشر والترجمة (في ألمانيا وبلغاريا).

جاء الديوان في 114 صفحة من القطع المتوسط، ويضم بين دفتيه 97 قصيدة مكتوبة بين أعوام 2011 و2017 وهي ترصد حركة الشاعر المكانية من حلب مروراً بمدينة أزمير التركية، ومن ثم أثينا وبعدها كوبنهاغن وأخيراً مدينة البورغ التي أستقر فيها في شمال الدانمارك.

وكأنّ قدر الشمال يلاحق الشاعر من حلب عاصمة الشمال السوري إلى البورغ عاصمة الشمال الدانماركي، ويمكن أن توصف هذه المجموعة الشعرية بأنها "عرض بكاميرا سينمائية ومشهدية شعرية تركز على أدق التفاصيل". وتجدر الإشارة أنّ لوحة وتصميم الغلاف للفنان هاني الحاج.

ونقرأ من أجواء المجموعة الشعرية:

الغريبُ الذي علّقَ حلمَهُ عندَ البابِ
الغريبُ الذي فرَّ مِنْ ماركيز
مِنْ مائةِ عامٍ مِنَ العزلةِ،
الغريبُ الذي رسمَ لنا
فوقَ جدارِنا الأسود نافذةً بيضاءَ
هذا الغريبُ بعدَ أنْ حرَّكَ فينا
كلَّ هذا الغموضِ
هو نفسُهُ مَن استأذنَ مارغريت ميتشل
فتحَ البابَ وذهبَ معَ الريحِ.

مجموعة «سرير ابنة الملك» القصصية لشهلا العجيلي تصدر بالإنكليزية

صدرت في ولاية تكساس الأمريكية، مؤخرًا، مجموعة «سرير ابنة الملك» للقاصة والروائية السورية شهلا العجيلي. عرّف الناشر بالقصص قائلاً: إنها إنجاز استثنائي ومحاولة تجريبية تضاف لرصيد القصة السورية، ولرصيد الكاتبة التي رشحت للجائزة الدولية للرواية العربية عن كتابها «صيف مع العدو». ويضيف الناشر أنّ "القصص توظف السيريالية والسخرية لرصد أحوال المرأة وانحدار مستوى الحياة العامة في المجتمعات الحديثة".

وصدرت المجموعة عن سلسلة "أصوات صاعدة من الشرق الأوسط"، التي تشرف عليها وتحررها مطبوعات جامعة تكساس. وترجمتها إلى الإنكليزية المترجمة سواد حسين. وفازت العجيلي بجائزة "الملتقى" للقصة القصيرة العربية في دورتها

«المسرح في حضرة العتمة» لغسان الجباعي.. الفن رهين العتمتين

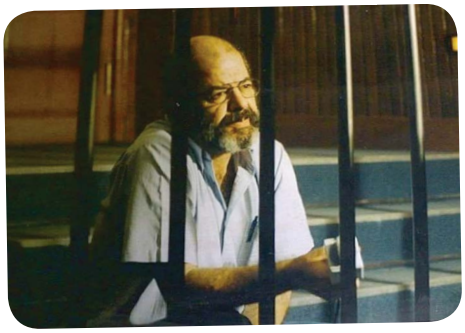

«المسرح في حضرة العتمة» هو العنوان الذي اختاره الأديب والمسرحي السوري غسان الجباعي، المعتقل السياسي السابق، لكتابه الذي ضمّنه خلاصة تجربته المسرحية من الدراسة، إلى التمثيل والإخراج والكتابة المسرحية وكذلك التدريس.

جاء الكتاب من أربعة أقسام: القسم الأول؛ ضم شذرات من تاريخ المسرح في سوريا، وبشكل خاص ونادر الحركة المسرحية في السويداء (مسقط رأس المؤلّف)، القسم الثاني: تضمن آراء الجباعي في الموضوعات الأساسية والمكوّنات الأساسية للفن المسرحي. وتناول القسم الثالث مرحلة المؤلّف الدراسية للمسرح في أوكرانيا، فيما خصّص القسم الرابع لتجربة عودته إلى سوريا، ومحاولات إنتاج المسرح، وتجربة الاعتقال التي عاشها في سجون النظام الأسدي، وتجربة ابتكار المسرح داخل المعتقل. ويشرح غسان الجباعي سبب اختياره لعنوان الكتاب، فيقول: ""المسرح في حضرة العتمة، وليس الضوء، لأنّ الفن رهين العتمتين: العتمة الأولى هي عتمة نزركشها بالضوء، وترافق العرض حتى النهاية وهي ركن أساس من أركان المسرح وفلسفته الجمالية، حيث تتناوب فيه الإضاءة مع العتمة في عملية الخلق، وعتمة غريبة عنه، دخيلة عليه، تأتي من خارجه وتخيم فوقه، كما تخيم على كل شيء، هي عتمة الاستبداد والعبودية والتفاهة. إذاً، إن المسرح مرتبط فنياً بالعتمة الأولى وهي العتمة الإبداعية، لكنه أيضاً مرتبط بالعتمة بالظلم والقمع والاستبداد السياسي".

عمل للفنان سمير خليلي